حيدر عاشور

حدث هناك في تل عفران

قصص قصيرة

١٤٤٣هـ - ٢٠٢١ م

قصة قصيرة – شاهد عيانها – المواطن – عبد الرزاق مصطفى رضا كاسب

الأنفاسُ الأخيرة في قرية سينوا

فجأة فقدنا حساب الزمن، هذه هي النهاية أذن بهذا الموت الوحشي الداعشي سننتهي ويذهب الإنسان كالهباء لا يذكره ذاكر.. الموت، بعفوية نلفظها ومعها لفظت الرعب الذي أضافه القصف ليل ونهار بصواريخ كاتيوشية والقصف العشوائي بالمدفعية. أرواحنا انحبست في صدورنا التي امتلأت بالحشرجات وهي تتسابق إلى الشهادة من أجل شرف القرية قبل ان يباح لشرذمة ملونة الدم والعرق، تكفيرية مقيدة. وحين لم نجد من وعود الحكومة شيئا حقيقيا ونحن في أنفاسنا الأخيرة في سينوا، وكأن القرية بدت منعزلة عن عالمها تلعفر والموصل. لا نعلم ماذا حل بالقرى المجاورة من الهمجية (داعش). الجوع والحاجة والتعب الجسدي والألم والخوف بكل صوره البشعة والغرائبية شمل الجميع كأنهم ينتظرون حيوانا أسطوريا عملاقا سيلتهمهم بمجرد دخوله القرية. قررنا ان نحمي انفسنا بأنفسنا من هذا الرعب واستمكنا من وضع خطط الخروج الجماعي تحت جنح الليل. الليل في هذه الظروف يكون الامتداد للهروب من جنتك. فجأة أعلن الليل عن صوت، أنين بعيد فكان عبارة عن نزوح كبير لعوائل تلعفرية باتجاه قرية سينوا، استقبلناها واسكناها في نفس القرية، حتى أصبحت نفوس القرية عبارة عن نفوس تلعفر بأكملها.. وقد أضاف المشهد الجديد هولا لكارثة الموت الجماعي الذي ننتظره، ليضيف أيضا أملا لصنع أهداف دفاعية لتقليل التقهقر النفسي والانحدار السريع عبر القصف الوحشي الذي لم يسكت لحظة واحدة. أجمعنا عن الدفاع عن النفس، فما زال في العمر متسعّ للبقاء. كان تجمعنا المشترك له أثر الصمود فنحن في مواجهة عدو ظالم ونتوقع منه كل شيء. وكل شيء بدأ يتهاوى من حول القرية.. كانت الليلة الأولى بعد القصف الكثيف والحصار المميت، كأن الأرض بدأت تتشقق بنا وهي تضع هوة عميقة يتخللها كل أنواع الخوف والرعب، الذي بدأ ينفجر من داخل النفوس باستغاثات ينفطر لها القلب. فالموت أمام العيون يحوم والأجساد تتطاير مع التراب والدخان وتتحول إلى أشلاء مشوية. هكذا تزايد الموت في اليوم الثاني ونحن نحاول قدر المستطاع حماية ما يمكن حمايته من الأطفال والنساء والشيوخ. و(داعش) كان يتقدم نحو القرية بحذر، غير آبه بالناس ورصاصهم اخذ يجندل شجعان القرية والأرض تبتلع أبناءها.

وشدت الوطيس في اليوم الثالث، لم نعرف منه ليله من نهاره، والكارثة دخول الموت وسط القرية، وكانت (داعش) تعمل عمل القصاب في ذبح الذبيحة. ومجزرة الذبح والحرق توالت ليومها الرابع ببشاعة قلّ نظيرها والشبان يضحون بحياتهم من أجل النسوة وما يزيد الظلم ظلماً كانت في القرية نساء ايزيديات تحت حمايتنا، وهذا ما كان يثير غيرة الشباب فلم يمكنوا (داعش) من نصب مشانقهم وأدواتهم التعذيبية.. وتسبب هذا الدفاع المستميت المزيد من الدم والموت، ومزيدا من شهوة القتل والاغتصاب لدى (داعش) التي بدأت تتصرف تصرفات منحلة لا أخلاقية، فاسدة كأنها تنتمي إلى أسوأ أنواع حيوانات الغابة المتوحشة.. تصرف همجي مستكلب.. يسرقون وينهبون وفوق كل ذلك يغتصبون الفتيات أمام أهليهم بلا خوف أو تردد، ومشهد تلك الايزيدية وهي ترفس الأرض بساقيها من الالم. لقد كانت فتية جميلة تكالبوا عليها يشوهون وجهها ويمزقون ملابسها، ويتخاصمون على نكاحها؛ وملأ فيض من المرارة السوداء الملتهبة فم بعض شباب سينوا وتدفق بين أسنانهم المنقبضة غضب حامي، والدواعش ما زالوا يمارسون حقدهم وضغينتهم ببشاعة الجنس لكسر شوكة أهالي القرية. فبدأت صولة غاضبة نحرت كل الدواعش حول الفتاة وفتحت علينا نار متوحشة، ولكن قوتنا التلعفرية صمدت فاصبحنا مجانين في حماية انفسنا. كان ذلك هو جنون الليلة الخامسة ونحن نذبح بشكل جماعي، منظر مخيف من أنهار الدم والجثث التي ملأت كل شبر من القرية.. جثث مقطعة وأخرى محترقة وأخرى مصلوبة. وفي حمم القتال والصبر على الابتلاء جاء الرجل الصالح (ملة غائب) مؤذن الجامع ومعه اسود القرى التلعفرية وقاموا بسحق الدواعش وتحريرنا من الحصار وما لاح الفجر حتى خرجنا من قريتنا سينوا الى سنجار ونحن في حالة يرثى لها لم نحمل معنا غير سلاح بسيط وسمائلنا الممزقة وأجسادنا الممتلئة بالدم. والمصيبة الكبرى كان (ملة غائب) قد حاصروه وهو في سيارة حوضية تنقل المياه الى المحاصرين وتم ذبحه علنا في منتصف الشارع كما تذبح الشاة. لقد ضحى الملة بنفسه فكان قربان القرية وقربان كل تلعفري وصل إليه ومدهُ بالمؤونة كي يصبر على محاربة طغاة العصر وغربان سواد النواصب وفئران خونة العراق...خمسة أيام تلفظنا بها أنفاسنا الأخيرة في القرية وخرجنا بقوة سلاحنا وانقذنا ما يمكن إنقاذه من العوائل واستشهد من لم نستطع إنقاذه.. سيكتب التاريخ ملحمة قرية سينوا بدماء شهدائها الخلص، الذين هبوا عن بكرة أبيهم للقتال من جديد بعد ان دوّت أصوات الجهاد الكفائي للسيد السيستاني، ليكونوا في مقدمة طلائع الحشد الشعبي العشائري التلعفري لطرد (داعش)، ونجحنا بأخذ حقوق الدم، واسترجعنا أرضنا الحبية ورجعنا أمنين في سينوا.

قصة قصيرة – شاهد عيانها –طارق أحمد حامد محمد الجحيشي

تل أبو ماريا

نظر إلى نفسه في المرآة، يا ترى من أنا؟ كيف بقيت على قيد الحياة وسط هذه الجراثيم القاتلة من الكراهية والحقد؟ عليّ أن أعترف ان عزلتي ضيّعتني، وبنفس الوقت جعلتني أتقمّص دور الشبح وأنا على قيد الحياة، وحدود فاعليتي سيكون ميدانها الحقيقي الانعزال والترصّد. فما أنا إلا محكوم بالانعزال اعتقادا مني بانني أحاول توثيق ما يجب توثيقه، وأن أعيد جزءا يسيرا من تاريخ -تل أبو ماريا- والأحداث التي تحدث والتي حدثت على مرأى البصر وسجلتها الذاكرة وصوّرتها العيون. أقنعت نفسي ووجد لها هدفا أقل جدوى من الجهاد. ان ما لم أتوقعه من فعلي في انعزالي الذي دام اربع سنوات داخل جدران البيت هو تلك المشاهد المرعبة التي رأيتها من عصابات (داعش). وكنقطة انطلاق سأبدأ من تاريخ القرية الواقعة في منطقة الجزيرة، والتي تبعد عن مدينة الموصل قرابة خمسين كيلو مترا، وهي من القلاع الأشورية ثم الرومانية ثم بلدة إسلامية، وجاء اسمها من اسم كنيسة رومانية كانت موجودة على تل القرية اسمها كنيسة ماريا، وماريا اسم للعذراء البتول مريم، تسكنها عائلتي (الجحيشي) الآن.

انتبهوا إلى مفرداتي وأقرأوا هذه الكلمات جيدا، لأنها تمثّل الحقائق المفجعة لأكثر من (٢٠) الف نسمة من نفوس القرية التي ضحّت بقرابة (٧٠) شهيدا. بعد ان تحرّرنا من القائد الضرورة سنة ٢٠٠٣م، استتبّ الأمن من القتل والمشاركة القصرية في الحروب، واستقرّ الأهالي في سلام وفتح مسجد أبو ماريا، ونضجت شعائرنا الحسينية وهي تأخذ طريقها على نهج وعقيدة الإمام الحسين(عليه السلام). وفجأة نشطت حركات مريبة تسمى -القاعدة- عصابات تقطع الطرق وتقتل على الهوية، فأصبحت تتجوّل على كل منافذ القرية ومزارعها فالخروج والدخول الى القرية يعدّ موتاً مؤكداً، حتى اطلق عليه بطريق الموت، فمن يخرج لا يعود. لم تعد الحياة طبيعية في أرجاء المنطقة منذ سنة ٢٠٠٥م، والموت المجاني يلاحق أبناء القرية وموظفيها والمتطوعين في سلكي الجيش والشرطة.

أما أنا (طارق الجحيشي) ٣٩ سنة موظف بسيط في تربية تلعفر، كنت أحلم مثل أدباءها ومثقفيها وأساتذتها ان تكبر القرية بأبنائها وتخرج علماء وأكاديميين، لكن شاءت الأقدار ان تعاد سنوات الموت المجاني بكل طاقاته سنة ٢٠١٥م، وتنطلق الطائفية والتفكك –التلعفري- بكل مقوّماته ومذاهبه وكياناته، فتولد عدوا لكل بيت في قرية أبو ماريا..

فكيان(داعش) الإرهابي عدو جاء بقوة فهو امتداد لتنظيم القاعدة التكفيري.. حارب الناس بمعيشتهم وصلاتهم، وذبح كل عزيز وعالم ومثقف ّ.. كل يوم تزداد همجيتهم ووحشيتهم، فقد قتلوا دفعة واحدة ثلاثة عشر موظفاً بشكل علني، والإنذار الأكبر هو قتل الشيخ (البوعساف الجحيشي) كبير مشايخ القرية، وتصفية الشيخ (مبارك إبراهيم اليوسف) إمام جامع المسجد، ورجل دين مبارك تعتمد القرية عليه بالحلال والحرام وفكّ الخصومات وإصلاح ذات البين. في قلبي جرح عميق يزداد كل يوم عمقا ووجعا لن انسى جرائم (داعش) في قرية -أبو ماريا- ما حييت. ولا يوجد وصفا دقيقاً أصف بها ذلك الظلم الدموي. فقد انتشرت الجراثيم مثل الوباء تفتك بالإنسانية بلا رحمة، تحمل معها الحقد الى كل مكان (شيعي) ومن يخالفهم من الطوائف. لم يكن هناك مهرب من حبائلهم وخيانة من فرحوا بقدومهم، ومهّدوا لهم الطرق بالخيانة. وأخذت بعض العوائل تجوب الأصقاع خوفا من القتل وهروبا من أفواه المذؤوبين من البشر.. فبقيت الأرض للشياطين وعمّت الفوضى وشاعت الأعمال التخريبية والمحرمة. فكل أثر تاريخي كان مصيره التفجير والتهديم، حتى المعالم الدينية ومدارسها التوعوية لم تسلم وقتل رموزها أمام أبوابها علناً. لم يكتفوا بذلك عطلّوا وفجّروا المدارس المدنية الحكومية، ولم يسلم منهم أحد. وعندما تفاقم خطرهم قرر رجال القرية وشبابها، ان يكونوا حشدا خاصاً بالقرية بعد أن اطلقت الفتوى الكفائية الجهادية من قبل الإمام السيستاني. هنا لم يعد للصبر حدود ولا للموت من وجود، فالموت المجاني يصبح الإنسان فيه شهيد غدرٍ وخيانة؛ أمّا شهيد الجهاد فهو شهيد مزكّى من قبل فتوى مباركة. فتشّكل في قرية -ابو ماريا- حشد عشائري مرتبط بالمرجعية الدينية العليا التي استطاعت من خلال رجال الدين ان يستنهضوا همم الأهالي، وتشجيعهم بمختلف الوسائل المعروفة للدفاع عن النفس، إما بالتحرير او الشهادة. لعل طبيعة الإنسان الخاصة، هي التي تجعله ضعيفاً في مواجهة الظلم، وقوياً حين تفتح له باب الحقيقة فينذر نفسه للموت من أجل غيره. فكان دور أبطال القرية أن يهزموا (داعش)، في وضح النهار، وجعلهم كالفئران في الليل، ما من فار داعشي يخرج حتى يجندل ليكون عبرة لكل خائن ومرتزق. حتى جهزوا جزءا كبيرا من الأمان، وفتحوا الطريق لدخول قوات الحشد الشعبي والجيش وقوى الأمن لمسك الأرض والقضاء على كل (داعش) ومحاسبة الخونة. رجع صفاء قرية -تل ابو ماريا- وظهر القمر من مرتفع يسمى(القلعة العثمانية)*، والتمع بريقه فوق المزارع، والمياه التمعت هي الأخرى بفعل ضوء القمر بعد رحلة موت كل ليلة.

* (القلعة العثمانية) هو (تل أبو ماريا) قبل تطويرها وتوسعها وازدياد سكانها.

قصة قصيرة – شاهد عيانها – وعد الياس حمزة الافندي

حسنكوي

لم يكن أمير "حسنكوي"* قد أغتصب شهرته في أرجاء المنطقة إلا بالعنف الشيطاني. كان أميراً-داعشياً- يخيف بشكله الشيطان نفسه، فكيف ببسطاء "حسن كوي"؟!. كان ضخما لكنته أفغانية، وعربيته تتكسر على فمهِ بألفاظ وحشية. ما أن يظهر في مكانٍ حتى تشعر بإشارة الخطر. كان ظهوره يعني حضور الموت. وحين وقف أمامي أصابني الرعب، والقلق يعصر أحشائي. كان ينظر اللي ويردد مع نفسه قائلاً: هذا بائع الملابس الرياضية يجب ان يموت.

كانت يده اليمنى المترددة تقبض على سيف نصل لا غمد له، يلمع وتظهر عليه بقع دم لم تجف بعد، واليسرى على سلاح أوتوماتيكي لم ار مثله من قبل. رفع يده اليمنى وتراجع عن قتلي وأمر بسجني لحين المحاكمة. فوضعوا الكيس الأسود في رأسي وسوّقت الى مكان لم أعرفه.. لا يخطر على بال أحد ممن يتوقعون ماذا تفعل (داعش) بضحيتها، إنها فانتازيا الرعب لجو مشحون ملعون بالإثارات والتجاوزات والاغتصاب والتعذيب المميت.. جو يلغي توقعات الخيال والمخيلة، يشذب عاطفة القلب الزائدة عن اللزوم، فيجعلك في صميم الحدث صابراً كالأبطال وشاهداً على القتلة والرجال ذوي الوجوه العديدة. ظل الموت يلاحقني مهددا ثمانية عشر يوماً في المعتقل حتى جاء يوم محاكمتي. كان أمامي شابان ينتظران ان يصدر الحكم بحقهما بتهمة استخدام الموبايل.

الأمير الحاكم وهو شخص ممتلئ ذي مظهر مخيف كان واقفاً وسط رجال ابشع ما رأت العين من بشاعة، والشابان جاثيان على ركبتيهما والنور يشع من وجوههم، كان الفرق شاسعا بين نور من سيُقتل وسواد وجه القاتل. وقطب الأمير حاجبيه وهزّ كتفيه وسحب نفسا عميقا وصاح: نفذ الموت بالمرتدين عن دين الله باستخدامهم عدو الله (الموبايل). وبلحظة انزلق الرأس عن الجسد انزلاقاً بشعاً بضربة تهد الصخر، وبلا إرادة حاولت ان أحرر يدي لامسك رقبتي من السقوط ولكن الأصفاد قد أحكمت أقفالها على يدّي، فضج داخلي وتمزق قلبي فعشت صدمة صماء. نظرت الى راسي الشابين وجدهما كما لو كانا لا يزالان فيهما رمق من الحياة والدم بدأ يسيل حولهما ويبدو قانياً كأنه يفور على الأرض، وان الأرض دفعته نحو السماء فيتغير لونه ليصبح بلون أشعة الشمس.

بقيت جامداً كالحديد المعوج، لم اسمع صوتا ولا أرى بعين، كان ضميري وعقلي وكل حواسي لمشهد الذبح. وقد بدأت أوصالي ترتجف كلها بهزات متتابعة، أحيانا

لا اشعر بها أطلاقا، ليس خوفاَ!، بل هولاً من بشاعة ما رأيت. لقد كانا وجها لوجه مع الموت وهم ينطقان الشهادة، ويتمسكان بالعروة الوثقى ويناديان ايها الغائب ادركنا؟!. وتنبهت فجأة على صوت اسمي: وعد أفندي، أنت ملحد وكافر. وإقامة الحد عليك مفترض الطاعة. تهمتك بيع كؤوس رياضية تحمل تماثيل (أصناما) وهذه يحرّم بيعها في دولتنا. وعليه الحكم عليك ...

تعالى صوت الموت ذبحاً ثم تبدد الى سكون جارح، كانت صورت أخي (عمر أفندي) أمامي، عيني لا ترى غيرها، فقد سُمِّر في مكانه من غير حراك، صرخت في صمتي: أخي انقذني!. أخي لم استطع حمايتك حين قتلوك، وبصعوبة حصلت على جسدك ودفنته. وعرفت كم كنت بطلا عصامياً مؤمناً ان الموت حق، فقد وصلت في مجابهة وصد وحرب الغربان السود الى الحدود التي ينتهي عندها اليقين بالطمأنينة. فقتلك ذلك القناص الداعشي اللعين، وأنت تجاهد في المحافظة على مؤن وأرزاق الأهالي في سايلو حسن كوي، ورموا جثتك من أعلى السايلو وبقيت على الأرض عشرة أيام غطاؤك شمس السماء وقبرك الليل. اليوم فقط عرفت ان روحك حولي تحوم. بقيت مع روح أخي الى ان استفزني صوت خشن يكبّر الله، بطريقة يفصل بها - تك وبير- استطعت ان أدير وجهي وانظر الى قاتلي، فرأيت وحشاً يشبه الغوريلا حجماً ولوناً. ما أن نظرت وعيني جاءت في بؤبؤ عينيه حتى استشاط غضباً وهمّ بذبحي، لكن الأمير الأكثر وحشية قال: هذا ابن الأفندي يجلد تسعين جلدة ويحرق محله، وله يوم واحد في (حسن كوي) بعدها دمه لـ(داعش) مباح.

كان شعوري بالخطر قائما، على نفسي وعلى والدي الذي أصيب بجلطة قلبية، ووالدتي التي أصابها كسر في الحوض بانفجار أحزمة ناسفة في السوق، وأصبحت مقعدة. تركنا البيت بكل ما فيه والسيارة التي صادروها، واتجهت نازحاً الى الموصل مختبئاً مع عائلتي.. شعرت كرجل تلعفري بهذه العاطفة الناشزة بين ان أكون مجاهداً في صفوف الحشد العشائري، أو رعاية والديّ العاجزين. ولولا رعاية حشد العتبات المقدسة لكنا من الهالكين جوعاً وعطشاً..

....

* حي المثنى المعروف حسن كوي بـ(حسنكوي) نسبة (حسن بك) التي ترأسها وقت الاحتلال العثماني سنة ١٦٣٩ م

قصة قصيرة – شاهد عيانها – شريف علي محمد علي آل نجار

زلزالُ .. قنبر درة

الزمان: الساعة الرابعة والنصف من عصر يوم الثلاثاء ٢٧/ اذار/ ٢٠٠٧

المكان: حي الوحدة وسط مدينة تلعفر

عليّ أن أتذكر، كنت لم أزل تحت رحمة الخوف، وكثافة الموت. تمهلوا قليلاً ريثما يستقر قلبي من الخفقان، وتخفّ آهاتي، واستردّ انفاسي، فقد خرجت من الموت المحقّق تواً، حيث دفنت ثلاثة أخوة وابن عم مع ابنهِ الصغير.. (قاسم علي ..عبد الجبار علي.. محمد حميد علي.. عدنان حسين)، والكثير من الاصدقاء الذين أحبهم دفنتهم جميعاً بيدي، أصواتهم تلاحقني تتبعني اينما اذهب مثل نصل حاد في قلبي، وكأن عصر الثلاثاء الاسود جمرة تثقب رئتي، تقطع تنفسي كلما يتراءى لي مشهد النار والدم والموت، فأمام عيني قافلة من الفقراء بحرت صوب السماء ممزقة، وأنا(شريف علي محمد علي آل نجار)، بقيت في فضاء - حي الوحدة- تحت دخان العاصفة وتحت الغيوم الجريحة، مثل حجر ميت القوادم، والموت يُسرج أمام عيني أفراسهُ، والذبيحة. فالمصيبة التي أرويها هنا، هي شيء من المسّ يصاحبني كلما رجع عقلي لها، وعند كل شهيد أبلغ حداً من التوتر الروحي يجعلني في ضيق خانق، أحياناً أهرب، ومرة أسأل:

أكان لابد أن يحدث ما حدث؟!. سؤال عاصف يراودني، لا قدرة لي على التحمّل، أكاد أموت من الجزع، فالنبض يفر فراراً نحو الصدر فيمزّق اوتاد القلب. اشعر انني مثقل بالهموم والاوجاع والحزن حتى حواف الروح. ما الذي بين تلعفر وبين(السلفية والوهابية، والقاعدة وداعش..)؟، وما العلاقة التي بين الاهالي وبين المرتزقة القادمين من خارج الحدود؟، وما وجه الشبه بين ريف (قنبرة درة) ومدنهم المترفة؟. أسئلة حيرى ليس لها جواب!. فالانهيارات شملت كل اراضي تلعفر، وصهدها يحرق الروح ويكوي القلب والجسد. فالإرهاب التكفيري وحش ضارٍ، يحرق ويزني ويذبح، كأنه ريح من نار صاهدة، صاهلة، آتية من جهنم، حرقت الاخضر واليابس، السُني والشيعي، الصابئي والمسيحي، اليزيدي، ومن ليس له علاقة بدين او مذهب او قومية. لا أحد يسمعهم في هذي الارض التي شهدت القيامة فيها لمرات عديدة.

قاهرة ومريبة (قنبرة درة)، فمداها الشاسع وسط – تل عفران*- لا تحدّه عين، وهي تخوض في رهبة روائح الموت المفاجئ. كل شيء تبدّل فيها منذ سنة

٢٠٠٤ بالسرعةِ المباغتة. وكل شيء ينذر بالترقّب والخوف فغربان الخطيئة الاولى يسترجعون عهد الذبح، ويجرّون بحقد دفين كل جرائم حكمة الراشدين، ومن اتبعهم حتى هذا اليوم. وما يجري الآن في -تلعفر- صراع ما بين الملائكة والشياطين، وعراك دامٍ، وقتلٍ مباح لا خلاص منه. و(قنبر درة) كان الحصار عليها الموت جوعاً، وناسها لا يستطيعون أن يفعلوا شيئاً، يصمتون اذا شاهدوا المجرمين يقتلون امرأة او رجلا أو شيخا أو طفلا، ومن ثم يحمل ويلقى في بئر خارج المنطقة. ففئران تنظيم القاعدة شرهة للقتل، مسعورة كالكلاب. والاهالي مغلوبون على امرهم واطفالهم جياع حد الموت.

كلما وقع بصري على مصيبة نتاجها الموت، أمضي ليلتي بالكوابيس، واذا اغمضت عيني، ارى نفسي معصوب العينين، وحولي الاهالي تنظر كيف يقطع -السادي، القاعدي، الارهابي- رأسي أمام زوجتي واولادي؟!. وكلما يغزوني النوم يتكرر الكابوس أعنف، لكثرة ما رأيت، كيف تقطع رؤوس الابرياء؟!، ونحن على بعد أمتار نشهد ونشاهد، ولا حول لنا ولا قوة، ومن يُترك على الارض نقيم مراسيم دفنه سراً في الليل، وقلوبنا مؤتلفة في خوفها المعلن والمستتر. في هذا الظرف العصيب المتأزّم اضطررت مرغماً ان أهجر (قنبرة درة)، واترك بيتي وعائلتي الى ناحية الشمال بقضاء -سنجار- من اجل توفير لقمة عيش شريفة، وكنت وقتئذ، أحمل في قلبي غوائل جماعات من بني قومي، لا يرحمون ولا يرأفون، وآثام اشياع من (تلعفر)، نذروا انفسهم للأبالسة من تنظيم القاعدة التكفيري من أجل التخريب والتدمير والقتل والارهاب. فمنذ ٢٠٠٣ وبعد سقوط الطاغية وانقراض الوحوش الزيتونية، وظهور الامريكان كغزاة ومحررين، نشط في تلعفر كلها تنظيم القاعدة، وشهدت العديد من التفجيرات والاشتباكات المسلحة. واختلط الحقيقي بالمزيّف وكثرت الاقنعة بين الاهالي لا تميّز القاتل والمقتول.. فالرعب سيطر على ثلاثمائة ألف نسمة من تلعفر معظمهم من التركمان موزعين بين غالبية من السُنة وأقلية من الشيعة، منهم الكرد والعرب. فلياليهم اصبحت قتاما، بقصف الآلات الجهنمية الفتاكة على اشدها، رغم ذلك يهرعون في صباحاتهم لمزارعهم حزينين يتبادلون نظرات هلع وخوف. فالجوع والحاجة والسجن الكبير الذي نعيش فيه جعلت منا صامتين نشبه الاصنام الرخامية. فالأرض صخبت لم تعد تعطي أُكلها. والمواد الغذائية انعدمت من المنطقة، والعصابات التكفيرية حالت من وصولها الى الاهالي، بعد اغتيال عددٍ من السواق والعُمال لا لذنبٍ ارتكبوهُ سوى نقلهم بعضاً من مفردات البطاقة التموينية إلى(قنبرة درة).

كانت عودتي من أجل عائلتي، وكان الحصار قاتلاً والجوع مدّ اوجاعه على كل الاهالي، فالقادم اليهم بكسرة خبز كانت تمثل ثروة من نعيم البقاء على وجه الارض حيّا.. وصادف رجوعي حديثا عن دخول مساعدات من الهلال الاحمر للعوائل المنكوبة في حي الوحدة.. كان الوقت يشير الى الساعة الرابعة والنصف عصرا، والشاحنة المحملة بالطحين والمواد الغذائية تقترب والاهالي يتقاطرون عليها من كل حدب وصوب، ومكبرات الصوت تدعو لاستلام المؤن بعد مجاعة شاملة وطويلة. لم يبق صغير او كبير الا وخرج وعلى وجهه تفاؤل وأمل، عسى ان يحظى على حصة ولو متواضعة يسدّ رمق الحياة والحاجة.

كنت وقتها على اطرف الحي انظر دخول الشاحنة، والمفرح بالموقف ان الجيش والقوات الامنية العراقية قد حجّمت من الارهاب في المنطقة فالعودة اليها كانت تبشّر بالخير اليسير. دقات قلبي لم تسكن، فالمسافة بيني وبين الشاحنة تحتاج الى دقائق للوصول. أمام عيني الناس تهرول ملهوفة.. عقلي مشدود نحو عائلتي فالحمد لله على نجاتهم جميعاً من التهلكة والخطر الاكيد، فذبح الاحبة امام عيوننا ادمى افئدتنا.. لازلت اسير باتجاه الشاحنة، وفجأة تتحول الشاحنة الى عاصفة هوجاء. فالوحش المفخّخ قد نفّذ حقده وكراهيته على ابسط خلق الله.. لقد تصاعدت الالسنة السود الحارقة من أكياس الطحين المثقلة بالقنابل، فخيّمت السحب القاتمة، وأخذت تتعالى الدوائر البرتقالية السود في السماء. تماوجت حول أنفي أنواع الروائح مختلطة بالطحين والبارود.. اسمع هدير شلالات اصوات الاستغاثة معلنة اصاباتها لا موتها، صوت يجعل الجلد يقشعرّ، ليس ثمة مهرب، فأنا على قيد الحياة اصابتي ليس خطيرة.. فأنا قد رأيت موتي أمامي في لحظة القهر والعسف والظلامة.. دمي لا قيمة له، فالجنون ركبني لم اعد أرى شيئاً، اينما نظرت رأيت خرائب سودا ودماء، اينما جلت بعيني أرى رأسا أو يدا أو جسدا مقطعا كالذبيحة. ها أنا فوق الاجساد ابحث عمن يتنفس، لكن أنفاس الجو المباغتة تنقض على ثنايا انفاسي، وتثبط قواي كلها فلم أشعر بعدها الا في العناية المشدّدة، وعقلي كأنه يسمع بدويّ يصم الآذان، وروحي تقفز عاليا فوق الارواح، وتحشر من قبر الى قبر.. سأظل هكذا أتألم ولا انسى، سأصرّ على أسناني وأكتم الوجع، وأشرب الجزع الحادّ فمهما شربت منه لن تنطفئ عذاباتي.. وأقتنع ان الله(تعالى) يرى ما لا نرى، أُؤمِن...

---

* (قنبر درة) الاسم الاول لحي الوحدة

*(تل عفران) أحد اسماء تلعفر القديمة

قصة قصيرة – شاهد عيانها – خضر داود خضر الافندي فخذ الواوي

شبحُ بئر الحمام

الحيرة الظاهرة في أفعاله وتصرفاته، تكشف عمّا يريد. تحتار ارض (بئر الحمام) الخضراء من أن تتحمل غضبه، ان تلتقط أقدامه التي ترفّ فوقها. كان الشبح والشاهد لكل جريمة نفّذت غدرا في المنطقة. يمتلك عيني صقر في النهار وقوة بصر بوم في الليل. كانت أفعاله تقرع باب الامل ليس في -بئر علو- بل في كل ارجاء -تلعفر- اسمه (لتلعفري) يلاحق (داعش) في الحلم واليقظة. كان يكتب على كل الجدران: نحن جند المرجعية الدينية العليا.. لا سدود، لا قيود، لا حدود.. اخرجوا هذه أرض الجدود. هذه الكلمات كانت تحطم (داعش) وتزيد من قسوته ووحشيته. لقد كان حقاً مليئا بالعجيب، ويجعل من كل عمل يقوم به مثيرا، وكأنه مسألة حياة أو موت..

لم يبرر هذه العجلة الهستيرية لأحد. فان كان ما يفعله بالدواعش ما يسيء للأهالي، فان الامور ستكون على أسوئها إن لم يدخل الرعب بشكلهِ الوحشي في قلوب الارهابيين. وأدرك(التلعفري) في اللحظة التي يتجوّل فيها كالشبح جرفته نظرات أهالي (بئر الحمام)، يرى ألمهم لفقدان أعزائهم، وهو الآن وحيد بعد أن اخذت سيارة المواد الغذائية المفخخة كل أهله لم يبق منهم أحد ولا تعرف المنطقة شيئاً عنه. فاقسم ان ينتقم من كل من سكب دم تلعفر كلها، فقد رأى فيهم ما لم ير من قبل، فلم تتوقف خيالاته الانتقامية. يجوب صحراء تلعفر وفوق رأسه تتناثر صور الموت البشعة، وحين يقف على اطلال -بئر علو- ويقترب من حافة البئر، والمطر ينهمر كأنه يزرع جو الكون بآلاف الجثث الممزقة. يرفع رأسه الى السماء فيرى رذاذ المطر المتساقط يؤلف، قبل ان يمسّ الارض صور إنسانية حية تتساقط من السماء وتنغرس في البئر ميتة بلا حراك وبلا ادنى صراخ. الصراخ وحده يضجّ في اعماق روحه الهائمة. تنهنه بألم، وقد قرر أن ينفذ أول عملية في حق أعداء الإنسانية. كانت مجموعة من الدواعش متجهين تحو بئر علو عنتر، كانوا يعبرون المنطقة بخطو متعثرة ليختفوا بعد ذلك وراء تلة من تلال (بئر الحمام). كان الليل ساكنا واصواتهم تتهامس وتوسلات امرأة لهجتها أيزيدية. لقد تمالكه قلق غير عادي، لم يستطع هو نفسه فهمه، هو امام جريمة ضد انسانية اغتصاب إنسانة. بل انه ضرب من الذعر، ليس خوفا من هذه الشراذم، لكن كراهية الفعل ثار غضبه، هذه الكراهية لازمته اتجاه كلمة (داعش) المجرم.

ان لم يكن صاحب غيرة لا شك ان اللهّ(تعالى) والاهالي سيشيرون اليه بالجبان، بيد انه مالم يتخلّص من هذا الاحساس فانه هو نفسه سيتسبّب في حصول جريمة الاغتصاب. الحق انني جبان؟!، قال لنفسه وصعد الدم فجأة الى راسه، وبشجاعة مطلقة اجهز على أربعة من الدواعش بصولة واحدة، وبلا شعور ستر الفتاة وسحبها باتجاه المزرعة، وأمّن طريقها، وفي أقل من ساعة اشعر جميع سكان (العلولية) بشجاعة التلعفري، ومع مطلع النهار، انتقلت هذه الاشارة المفرحة من بيت الى بيت حتى أيقظت أهالي تلعفر جميعهم في وحدة متماسكة ليجتمعوا في بئر الحمام ويضعوا الحواجز وينصبوا السواتر. لكن التلعفري لا أثر له كان يرابط في حول البئر ينتظر ساعة الصفر، وفي صمت الليل رأى حركة من الدواعش غير طبيعية وهم يحملون مجموعة من الشباب جاءوا بهم لينفذوا حكم الارهاب عليهم ويلقوا بهم في البئر.. فالبئر فاض بجثث المظلومين. بدأت فرائصه ترتعد غضباً وحقداً رائحة الموت حوله تنسج أشباحها، شفته تيّبست حتى لم تعد تنطبق على بعضها.. صرخ بصمت: الوقت قد حان. وحين أطلق الرصاص بكثافة، وتشابك معهم وجندل منهم الكثير لكنهم كانوا يعدّون الكمين للتلعفري فقد أبكاهم في الليالي الماضية. اقتربت الأضواء وألاصوات منه، ووقع أقدام تتجه نحوه من كل الجهات. وحين مسكوه هللوا واطلقوا عليه الرصاص بلا وجع، ولما وجدوه في النزع الاخير انقضوا عليه وهم يضربونه بحراب البنادق، ثم سحبوه بعد ان قطعوا رأسه ونزلوا به الى بئر الحمام (بئر علو عنتر) يتفاخرون بينهم. بينما الأهالي عرفوا البطل (التلعفري الشبح) الذي اذاق (داعش) مرارة الموت فكل جثة من تلعفر ترمى في(نقرة العلولية) كان التلعفري يرسل قاتلها الى الجحيم...

•الحفرة يطلق عليها السكان المحليون(بئر علو عنتر) او(نقرة العلولية) والتسمية الرسمية لها (بئر الحمام). وهي حفرة طبيعية ضخمة تقع على بعد خمسة كيلومترات شمال غرب تلعفر.

قصة قصيرة – شاهد عيانها – خليل محسن حسين آل هابش

كوابيسُ رجل تلعفري

وقف أمام المرآة ينظر الى وجهه بانفعال. صرخ وهو يستعيد ذاكرته، ويتجلى مزاجه المتشرد للمغامرة بحياته، وبفضل آلاف الحيل استطاع ان يكون حيا يرزق على الرغم من انه ليس في سجل تنقلاته شيء خطير يلام عليه، ولم يتهم بارتكاب جرم ذي أهمية، ولكن كان يصعب عليه إثبات صحة ما رأت عينه من جرائم تنظيم القاعدة و(داعش) والأهوال التي مرت بها مستشفى تلعفر العام، والتي تطارده بصورة غريبة الحيوية، كل حدث له تاريخ من الرعب والخوف في ذاكرته.

كان شيخاً لعشيرة القصاب، ومعاون مدير صحة قاطع تلعفر، ذا شخصية قانونية له اسمه وهيبته في كل المنطقة، حارب تنظيم القاعدة بلغة المنطق والصبر والسياسة. لا شك أن ما يعيشه من ارهاب احداث مؤلمة صور حية ظلّت تعذبه وتخيفه حتى لحظة رجوعه الى داره. فمصيبة (هدى) المرأة الحامل هي الأبكر بين الذكريات المرعبة.. فقد حاول بكل الطرائق انقاذها بعد تأزم حالتها، ومستشفى تلعفر خالية من اختصاص التوليد، فصدر أمر نقلها الى دهوك رغم ان الطرق ملغومة بتنظيم القاعدة الذي حرم على أهالي تلعفر الخروج والدخول ومن يحاول يقتل لا محالة.. لكن المريضة تحمل في بطنها طفلها وانقاذها واجب انساني. المجتمع العشائري جهز قوة، وخرجت الاسعاف وبها المريضة(هدى)، حاولوا تغيير مسار سيرهم باتجاه المزارع والطرق الوعرة وما ان وصلوا مدخل المؤدي الى الشارع العام لدخول منطقة دهوك بدأت مناوشات بين المجتمع التلعفري وتنظيم القاعدة، والكثرة تغلب الشجاعة تمكن التنظيم من السيطرة وابشع منظر هو انزال الشهيدة هدى واحراقها وسط الشارع بلا رحمة ولا شفقة، ورجال تلعفر لم يقاوموا الظلم رجعوا والحسرات تقتل ضمائرهم بعد منحوا الاشتباك الكثير من قرابين الاستشهاد من رجال تلعفر الخلص.

ما ان استرجع هذه البشاعة، شعر بالألم اللاذع، فخنقته العبرة والنفس اللوامة، فذاكرته كانت تسحق روحه في عملين الاول كان يرافق الاسعاف للإنقاذ فمهنته تحتم عليه الاخلاص في العمل والثانية هو شيخ يمثل عشيرة القصاب في المجتمع التلعفري. وما يعانيه هو شعوره اتجاه مهنته ووظيفته وعدم الالتزام بقواعد الشرف المهني والعشائري، فكانت هذه المواقف اسى محرقا، ولوما يعصف ببدنه.

كل هذه المشاعر انبثقت من تربيته العشائرية ودراسته للقانون المدني. استمكن من الهدوء، واخذ يبحث عن مقتنياته في الدار، وركز على دفتر الذكريات فهو شاهده الوحيد، وحين شاهده ارتاحت نفسه بعض الشيء. فقد كانت ذكرياته اليومية تمنحه الاحساس بالمأساة بأكثر معانيها، شعور بقناعة بنفسه مع الخطر، شعور يشبه خليطاً من الوهم من اللاشيئية والقوة بالتمسك بالحياة. فتح الصفحة الاولى من الدفتر فصدم بحادثة حي الوحدة : الوقت الساعة الخامسة عصراً من سنة ٢٠٠٧حيث انفجرت شاحنة محملة بالطحين والصواريخ فهدمت أكثر من مئة منزل واستشهد مائة وخمسون وجرح اربعمائة من الاهالي.. شهق بالبكاء على ذلك الطفل الذي رجع من مدرسته ولم يجد أهله ولا بيته فقد اصبحوا تراباً. ولو غباء تنظيم القاعدة بوضع الصواريخ بشكل خاطئ في اكياس الطحين، لكانت تلعفر محيت عن بكرة ابيها، لطف القدر جعل رؤوس الصواريخ الى جهة الارض فمزقت الارض وما حولها وجعلت المكان عبارة عن حفرة عميقة جدا وسط حي الوحدة.

غلبت عليه المشاهد المأساوية التي اصبح مدركاً لها، وشاهدا على كل تفاصيلها وصورها، ورغم ذلك وبدون سبب يشعر بالذنب وانتقل سريعا الى صفحة أخرى من دفتر الذكريات ليقرأ عنواناً "قصة هزيمة تلعفر" بكل ضواحيها وقراها. شعر كأن ضربة طرحته أرضاً وأحس بالنفور العميق يصعب التعبير عنه.. فالتاريخ ١٠ / ١٠ / ٢٠١٤ اسوأ تاريخ في اجندة اهالي الموصل حين دخل براحة (داعش)، وأسوأ تاريخ في حياة المجتمع التلعفري هو ١٦ / ١٠ / ٢٠١٤ حين سقطت تلعفر بيد (داعش) الإرهابي بعد قصف مستمر ليل ونهار وبشكل عشوائي حتى نزحت العوائل التلعفرية من مساكنها نحو منطقة سنجار. ومستشفى تلعفر العام الذي يحوي على ١٤٠٠ موظف لم يبق منه سوى خمسة موظفين عاديين، فجميع الاطباء نزحوا مع الاهالي وبقي مع المرض الخطرين يعمل ممرضا، كل ليلة يهرب بسيارة اسعاف مريض حتى انقذهم جميعا وبقي صابرا وشجع من بقي معه بالهروب، فقد تمت محاصرة المستشفى المنطقة وقريبا سيدخلون المستشفى لا محال، فقد وصل خبر من احد اصدقائه السنة ان المنطقة برمتها بيد (داعش)، وهو لا يعرف ماذا يفعل فضميره استراح بعد ان انقذ كل من في المستشفى من الحالات الخطرة، بقي خمسة أيام ينتظر مصيره في القتل او الذبح او الحرق. وفي منتصف الليل وقفت عجلة خلف المستشفى ونزل منها مجموعة من الشباب يعرفونه وكانت معهم مواقف صداقية وعشائرية رغم اختلاف المذهب بينهم وضعوه في صندوق السيارة واخرجوه من المدينة.

وقف عند نقطة وضعه في الصندوق، بكى بصوت عال. كان موقفا قاسيا لم يمر عليه في حياته خاصة فيما يتعلق بالموت وبالخيالات المميتة فيما يخص مصرعه اثناء سير السيارة. كان يرهف السمع عند كل توقف، وهو يسمع الدواعش يذكرون اسمه اين هذا شيخ القصاب. ويكررون الوعيد. لكن شاء الله ان ينقذه ليسجل كل ما كان من إجرام (داعش)..

عاد ينظر الى نفسه في المرآة كأن ذكرى أخرى تعصف في مخيلته تدفعه ان يعيد كتابة ذكرياته وان يكتبها بدم عراقي تلعفري، وان لا ينسى أيام الامان في الوسط والجنوب من البلاد وخاصة كربلاء.

قصة قصيرة – شاهد عيانها – يوسف محمد حمود الجحيشي مختار البَوْغَة

ليلة عاصفة في البَوْغَة

أستاذ، أجلس. لا تسألني وأنت واقف. الحمرة المغربية تزداد احمراراً، والليل يدخل علينا ولا يمكنك الخروج من البيت، في الخارج ستخرج الفئران من جحورها، وتصرصر ريح الموت، وما علينا الا أن نسمع أنين الارواح المسكينة ونتعذب معها ونصبر على ما ابتلانا به الله(تعالى). افتح كاميرتك وسجل حديث شاهد عيان من-عاصمة الجحيش- يقص حكايات اشباح متوارية في المزارع والتلول القصية، تصنع الإرهاب الموت الزؤام، وتجيد لغة الخراب والتخريب في مدينة من أجمل مدن العراق (تلعفر).

نظر الي مرعوبا، كم ينبغي المكوث هنا في هذا الجو الخانق؟ فقد انعدمت الحياة تماما فلا أثر لبشر، أين أولادكم الخلص. انت خدعتني لم تكن لدّي أدنى رغبة في البقاء، فأنا مصور وصحفي عليّ ان لا اسمع كلامك ويأخذني الفضول فأتعرض للخطر بسببك. أنت لست –المختار-الذي أبحث عنه بل أنت ستبيعني لـ(داعش)؟!. يا لها من صفقة رخيصة. من أنت؟، وما هذا البيت السري والمتواري عن العيون.

-بل أنا المختار، اهدأ قليلاً فعيون (داعش) رصدت وجودك في -البوغة- لا مفر لك سوى ان تسمع كلامي وتسجل شواهدي، قد نموت معاً او ينجو احدنا، فالناجي ليكون صوتا للميت كي لا تضيع حقوق الناس وحقائق البلاد.. يا أبني أنا مختار– البوغة- عاصمة الجحيش كلها، وأنت في أمان هنا، وأولاد البوغة الان يتربصون لكل من يتجرأ ان يعبر الى هذا البيت. فالاشاعة الاكيدة تؤكد دخول ثلاث مفخخات حية، قد يكونون من أهل القرية وغيرها، المهم ان المعلومة صادرة من استخبارات القوات الامنية، فقد تلقوا معلومات من الاهالي بوجود هؤلاء الارهابيين في القرية.

نظر الي، نظرة ندم واطمئنان: أعتذر مختارنا، أنا لم أنتق ألفاظي، فالثقة التامة غباء في وقت لا تعرف من هو عدوك ومن صديقك؟!.

يا ولدي، ان -البوغة- قرية قديمة كان يطلق عليها- تل البوغة- وهي رمز ومركز لقبيلة (آل جحيش) غرب نينوى. ورغم أن أغلب سكان القرية من العرب السنَّة

إلا أنها لم تُعنون نفسها على أنها قرية سُنية مذهبية أو عشائرية بقدر ما عبَّرت عن نفسها على أنها قرية مهنية مدنية.

لم أكمل عن تاريخ البوغة حتى اشتعل الخارج بالرصاص، وأبطال القرية كانوا بالمرصاد لخفافيش الظلام.. وجدُ ضيفي لا يبالي بالمحرقة ولا برهبة القتال.. وما سمعته منه غير: ارجوك شيخ أكمل حديثك.. فأكملت:

-رغم أهمية القرية تاريخيا ووطنيا وسكانيا، ابتعدت البوغة وضواحيها عن الموصل سيكولوجيّاً وبيروقراطيّاً وإداريّاً ومهنيّاً لاسيما في مرحلة ما بعد عام ٢٠٠٣، لكنها وقعت في فخ تنظيم القاعدة، بعد اشعلوا فتيل التفرقة بالإسقاط الفردي واغتيال شخصيات مهمة في تلعفر بشكل عام بحجج انه متعاون مع الامريكان. فتفاقم الوضع وشهدت المنطقة تهجيرا وقتلا وتسليبا وذبحا كل ليلة، واستمرت ليالي العنف وتواصلت بظهور امتداد القاعدة (داعش). وابطال البوغة لايزالون قرابين مضحية من أجل الحفاظ على العادات والتقاليد العربية الأصيلة والأخلاق والصفات الحميدة التي فتحوا أعينهم عليها. واذا اصبح علينا الصباح دون ان يزورنا صاروخ حارق، ستخرج من هنا بنتاج أعلامي دامي ومؤلم ووقائع يند لها الجبين. فنحن اجتمعنا على فضح أساليب (داعش) في تهويل وتخريب كل ما هو جميل في قرية البوغة.

وحين دوى انفجار هائل قرب المنزل، توقفت عن الحديث ونظرة لضيفي نظرة فاحصة بشكل لا يتناسب مع اعلامي في مقتبل العمر وضع دمه في قنينة ليسجل هذا الدمار المميت ويعيش ليلة سوداء لا تخلو من الرعب. رغم اني لم ادرك أي شيء، فقد كان وجوده يمثل بالنسبة لي التجليّ الاول لقوة معينة، النداء الداخلي فيّ صوت غريب ان هذا الشباب سيكون انطلاقة لنشر وتوثيق جرائم لم يعرفها العالم، ابتكرتها (داعش) المجرمة وستسجل لها –غينس- ابشع قتل يجمع ما بين الحرق والذبح والتذويب.

كان هذا الصوت سريا وغريبا ومما له مغزاه، ان ذلك قد رسم لي لأول مرة في شكل جامع الفضائح: فالذبح والحرق والتقطيع رمز لبوغة وأراضها، ولا شك ان الحب المستميت لأرض بوغة الأم هو الذي كان يناديني للمحافظة على هذا الشاب الجريء جدا.

هنا قلت: ولدي اتعرف ماذا في عقلي الان وما يمزق قلبي، جريمة كنت انا شاهِدها. كان شاب تلعفري عرف بشجاعته قد أبكى أمراء (داعش) بقوة بطشه بهم.. كان يجهض كل حركة لهم، وأخرها حين انقذ مجموعة من اخواتنا

الايزيديات كانت تسوقهم (داعش) الى سوق النخاسة العصري ببيع الجواري. كانت خطته محكمة بالإنقاذ ولكن كشف اسمه عند هروب أمير داعشي. وهذا الامير قام بمداهمة القرية في منتصف الليل وامسك بالشاب التلعفري من بوغة، وفورا قتلوه وفي الصباح، وبطريقة شيطانية طلبوا من الاهالي استلام جثث ابنائهم من بينهم ذلك البطل الذي عرف بالشبح الشيعي، وحين جاءت العوائل لاستلام الجثث، كان الالم كبير على القرية فقد اجتمعوا للصلاة عليهم ودفنهم، والمفاجأة الدامية هي انفجار الجثث على الاهالي فمزقتهم شر تمزيق، وبقيت أشلائهم ثلاثة ايام في العراء. ولم تكتف (داعش) بانتقامها فجلبت إلى منطقة الانفجار اربعمائة امرأة من أهالي وقرى تلعفر منهن شيعيات وسنيات وايزيديات واحرقوهن أمام شيوخ ونساء واطفال المنطقة. قسوة لا توصف كأنها القيامة على الارض.

اشتد القتال في القرية، لم يسكت الرصاص، لحظة واحدة ولكن ما أن دخل وقت الصلاة جاء اذان الفجر، قام الشاب وتوضأ، دعوته الى إقامة الصلاة مجتمعاً لم يعترض بل صلينا معا لله مجتمعاً كأنه يقول انا شيعي عراقي وكنت اثبت له إنني سنُي عراقي ولا فرق بيننا. فأسال الله بتعجل ظهور مولاه المنتظر، ودعوة الله ان ينجينا مما ابتلانا به.. وكانت حكايتي الأخيرة له عندما لاح ضياء السماء وبدأ تغريد الصباح يعلن الأمان في قرية البوغة. وعندما كنت أرهف سمعي، للأحداث خارج المنزل، كنت أسمع صوت سيارة قريبة. كان استعدادي للمواجهة ضعيفا؛ بسبب اعتمادي على الخلص من مجاهدي الجحيش. وضيفي كان ينظر الي بشكل غريب كأن الباب سيفتح فجأة ويرى غربانا سودا توشك ان تهاجمه. وبان على وجهه التصميم على الموت بالمكان دون تعذيب. ولكن المفاجئ هي دخول مجاهدي حشد العشائر مبشرين انهم نفذوا عملية انقاد المصور الصحفي الزائر لبوغة، وأنه بأمان الآن.

ضحك الضيف الاعلامي من أنه مستهدف وقد حكم عليه بالموت، والموت لم يكتمل، ولم يكن كاملاً بعد ليلة من الرعب. فاعتكف لسانه داخل تجويف الفم عن الكلام. والآن الجلبة حوله زادته حيرة فتوحد معي ليسمع عما جرى في ليلة دامية لم يتوقف فيها الرصاص والاهتزازات الانفجارية. ورغبة مني ان يفهم أخر بطولات البوغة الاسطورية. بدأت أسال عن مستجدات لليلة التي جمعت بها السماء غيومها السود وهي ترعد لتملأ الارض بمياه المطر، واستفحال خيانة الفئران وهي تخرج من جحورها وانيابها سامة وبدنها وسخ ونجس. فقال أحدهم:

-حفنة من الجبناء كانوا مصّرين على الوصول الى المنزل الذي انتم فيه. وتم معالجتهم في خطة محكمة وتم القضاء عليهم بعد مواجهة حامية الوطيس دون خسائر. فالمفخخون تم قتلهم بعد ان انغرست سيارتهم في الطريق الزراعي المؤدي وسط البوغة.

التفت المصور الصحفي نحوي وصارت وجنتاه قرمزيتين من الخجل، ورأيت عينيه تلمعان بمودة غير معتادة، وقد بدأ يعتبرني المنقذ لحياته، فخيط أصواتاً لكلماته وحفر في وجوه من حوله عينين ثانيتين كي يشاهد نفسه، فقال:

-سأذهب من هنا وان سيء التفكير والظن.. يا لها من سوء !. يا ليتني اذوب أنحل ذرة فذرة. لقد كنت حقا في عاصمة قرى الجحيش ما عساي ان أكتب وان اذكر فقد كنت من الميتين لولا قوة معلومة البوغة.

قد فهمت ما يعنيه للحظة، وابتسمت وافهمته ان طريقة المحافظة عليه كادت تكلف القرية الكثير، ولكن نجح شباب البوغة في حشدهم العشائري في معركة حفظ شرف الضيف..

قصة قصيرة – شاهد عيانها – أحمد علي حسين – طالب في كلية الموصل

نقرةُ الموت العلولية

لم يكن الليل عادياً في ليالي تلعفر، فغربان الخطيئة(داعش) ما زالوا يحومون حول القرى ويداهمون البيوت في اواخرهِ، كجرابيع المزارع المفترسة.. في جوفها قلوب متحجرة قاسية تبث الرعب والفزع. فلم تبق دار الا ودخلتها تلك الحيوانات البشرية الهجينة ومن قبلها تنظيم الموت قاعدي الذي قعد على قلوب السنة والشيعة ليذبح باسمهم ديانات لها عمق سماوي ونبي. وما أن يشرق الصباح في تلعفر، فيشاع خبر القتل والتهجير والاغتصاب والحرق. ولم يؤذن لأي كان من الاهالي بالتعزية او الترحيم، تاركين في قلوبهم جروحا لا تندمل. والغريب في أمري كنت أقضي ليلتي تلك بعيداً عن البيت مختبئاً من موت أظنه محققاً بعد ان غامرت وهربت عائلتي الى سنجار مقابل كل ما أملك من ماشية واموال. فجزء من (داعش) كانوا يعرفون الأهالي ولهم صلة قريبة او تجمعهم ارض واحدة وقومية واحدة وديانة واحدة باختلاف المذهب. نجحت في حماية عائلتي ولكن لم أهرب من أجل ارضي ومذهبي قررت الموت شهيداً، فأول شهيد في تلعفر كلها كان أبي(عبد الواحد الافندي فخذ الواوي) بعد ان قتلَ من ارهابيي القاعدة سنة ٢٠٠٤ المئات منهم حتى عرف - براعب التنظيم- فقد كان يجعل ليلهم اسود في (نقرة العلولية) كوجوههم النتة. فبعد استشهاد أبي عزمت على أمرين الاول هما الدفاع عن ارضي ومذهبي وأخذ ثار أبي الذي قتلوه بدم بارد وهو يصلي صلاة الفجر. فالصلاة كانت نقطة ضعفه الذي لا يمكن ان يهادن بها. ومنذ ذلك الوقت قررت ان اتدرب على كافة الاسلحة وما ساعدني على ذلك تطوعي في حشد العشائر ومن ثم انتمائي الى سلك الشرطة الاتحادية التي اثبت رجولة الانسان العراقي بنقاء دون انتماءات او توجهات. ولأني اعتبر في نظر التكفيريين خائنا فصدر بحقي مرسوم داعشي بالإعدام أينما أتواجد وبلا محاكمة. كانت لعبتي مع من اعرفهم في (داعش) وهم من أبناء القرية؛ فهؤلاء الخونة لا هم لهم سوى المال، وجني ثروات في المنطقة. باتت كل تلعفر تشخصهم وتعرف طرقهم الخبيثة والمزدوجة يوم يصيح اهم شيء قريتي وابناءها ويوم يأتي مع شراذم النواصب ينصب محاكم الموت في ساحات تلعفر. والويل، كل الويل لمن لم يمنحهم المال مسبقاً. استقرار الارهاب وسط القرى التلعفرية انهك الأهالي ما بين الموت وامتصاص الاموال وانتهاك الشرف.

كنت وقتها مع قوات الشرطة الاتحادية، وقوى الامن والجيش والحشد الشعبي بكل فصائله وهم يجتمعون ويضعون المخطط السليم لشن هجوم تطهير قريتي (بئر

علوا) ما تسمى بنقرة العلولية، وما حولها من قرى واقضية. كانت مشاعري في قمة تأججها.. كانت القوات تقف على بعد نحو ١٥٠ كيلومترا جنوب شرق تلعفر، هنا تم نصب خيم لاستقبال النازحين وقد وفرت القوات الطاقم الطبي. وقبل بدء الهجوم كنت ادخل القرية من منافذ اعرفها ليلا لنقل الاخبار والعدة والعدد بعد ان اصفي من هم خونة.. كل ليلة كانت لي مهمة مزدوجة ما بين تهريب عائلة او قتل داعشي. وقبل الهجوم بيوم لم اتمكن من الرجوع فـ(داعش) قد جمعت أكثر من ستين فتاة تلعفرية تهدد بهم القوات المحاصرة، كانت ليلة صعبة جداً وداعش بكل استنفارها تهدد برمي الفتيات بعد الاعتداء عليهن (بئر علوا).. الكبير والصغير وكل امرأة اتحدوا ان يموتوا قتلا لو اصاب الفتيات شيء مشين

، لكن القدرة الإلهية شقت صفوف (داعش) ابطال من الطائفة الايزيدية فحرروا كل النساء وخرجوا بهن باتجاه القوات الامنية. شعرت (داعش) بخسارة في عقر تمركزها الارهابي فلم يكن انتقامها ذبح الجميع بل عكس ما قاموا بشن هجوم على فتية تلعفر الذين لم يبلغوا الحلم جمعوهم في ساحة وقاموا يلعبون معهم كرة القدم، والاهالي في رعب من ان هؤلاء المجرمين سيقتلون ابناءهم لا محال وهذه الممارسة الداعشية كانت أيضا صورة من صور الارهاب وهي تحذّر الاهالي من الخروج وتهدد القوات ان حاولت الدخول.. وقتها عمت الفوضى في نقرة العلولية، ومن تجرأ لأخذ ابنه كان مصيره الموت بضربة قناص. عاصفة من الخوف والقتل، والنهار يحبو باتجاه الليل المخيف، والسماء تدلهم كأنها قطعة دم! والفتية بيد ممتلئة بالدم. اطلقت آهة مكبوتة: كيف سأخلص هؤلاء البراعم قبل قطفهم؟. هل سيمنحهم الله فرصة النجاة كالفتيات؟. موقف محرج والسلاح شديد والاعزل ضعيف!؟. لقد بدأ الليل، والسكون المرعب. ليلة صامتة لا رصاص فيها ولا صوت، قد تكون اطول ليلة في نقرة العلولية، وانا مختبئ لا حول لي ولا قوة كل حركة معناها الموت ذبحاً، فهدوء داعش يعني الموت مذبوحاً. والليل يدعوني بدعوته الرغيبة في انقاذ ما يمكن انقاذه. عوت في داخلي رغبات الاستشهاد، وبنفس الوقت تلوح في عقلي صور المهمة التي اخذتها على عاتقي قتل قتلة ابي الذين اعرفهم بالشكل والمنطق. انطلقت نحو السطوح لم افلح فاضاءت سياراتهم في كل شارع ومسلك. انصت الى وقع خطواتهم اجدها كثيرة كأنهم يتحضرون لشيء قبيح كوجههم. لماذا اتألم؟ ولماذا كل هذا القلق؟ القوات على مشارف القرى و(داعش) ستبقي على الفتية لا تقتلهم؟!. شعرت بالاطمئنان الجزئي ورجعت القلق كيف لشرذمة تقتل رجلا يصلي الفجر دون ان تسأله الا تقتل هذه الارواح البريئة.

وانتبه الى مكبر الصوت يدعو الاهالي الى استلام جثث ابنائها دون مقاومة والا...

اخترق الصوت اذني واشعرت انني اتهاوى في اغلال صدئة غليظة تشلّ حركتي، وقد سرت بتثاقل مع السائرين باتجاه ساحة الملعب و(داعش) تراقب كل حركة بشزر ولؤم اعمى تتبعه صوت الامهات الثكلى بقتل ابنائهن الفتية. ما اشد قسوة لحظة رؤية فلذ كبدك مذبوحا وقاتله فوق راسك يقول: الله أكبر. ما اشد قساوة الايام في وجوه المجرمين. قضمت صرخة موجعة كادت تفلت من داخلي الممزق وقلبي الجزع. حملت الامهات ابناءهن ولاح في افق نهار تلعفر الحزين صوت الفراق على زينة شباب قرية (بئر علوا). انداحت امامي صور، صور عشتها في نعيم اسرة مستقرة منذ كنت طفلا فصبيا وفتي وشابا والان رجل جرع كاس الم رجولته بفقد عائلته، يحتضن دموعه كل ليلة، يلبس جراحه بنشيج الصبر، وهو ينتظر الموت بشرف.

اصوات النحيب في كل بيت والسماء ملبدة بالغيوم، والغبار لا يزال تحمله الريح جهة المرابطين بانتظار لحظة الهجوم، والشيبة من الرجال بدؤوا يحفرون قبور الفتية، والمرأة التلعفرية تضج روحها جزعاً، شعور بالذل والخيبة والحرمان، لم تتمكن من النطق حين يكون الموت مقابله، ولكن فلذات اكبادهن صرخوا وهم أموات في وجوههن الباكية منفجرين حاضنين امهاتهم في موت ابشع من الخيال، وأتقن من الأفلام الهوليودية الأمريكية. حين الام تحضن ابنها جزعة، فينفجر أبناؤها في حضنها ليكونوا انهرا من الدم والدمع تصعد الى رحب السماء لتنزل اشلاء الى رحم الارض لتختلط الاجساد المقطعة فيصعب عليك فصل الابن عن الام، والسماء على الظلم جريحة تستقبل ارواحا بريئة والارض تسرج أفراسها على ذبائح النفس المحرمة.

عيناي داميتان فوق الدم والجثث، طاردتني خيول روحي التي ما هدأ فورانها وحوافرها فصرخت صرختي الانفجارية: أنا لؤي ابن الشهيد عبد الواحد الواوي، عاشق تلعفر وترابها سأخذ بثأر دمائها حتى آخر قطرة من دمي.

كأن كل الاسرار انتهكت عيناه، وكشفت ببصيرته كل منافذ الموت، بالموت بعد هذه الساعة لا يعنيه، الكل عرف(لؤي الواوي) الذي ينقذ الاهالي في أحلك الظروف اليوم من ينقذه بعد ان تكالبت عليه وحوش (داعش) المنتظرة نهش لحمه بفارق الصبر.. فكل صولة كان يأخذ روحا ظالمة ويبحث عن أخر ثلاث ليال و(داعش) لم تنم في نقرة العلولية، فمن ينام جاء أجله على يد ابن الواوي. كأنه مسك بخناق القرية وبئرها العميق الذي امتلأ بدماء شهداء تلعفر والمغدورين منهم، كان ابن الواوي يترصد القتلة فيقتلهم ولكنه لا يرميهم فوق جثث بئر علوا بل يحرقهم حتى لا تنجس دماؤهم الخبيثة دماء الطاهرين ابناء القرية وتلعفر.

لم يتمكن من الخروج للالتحاق بمقر الشرطة الاتحادية المتهيئة للهجوم، ونفدت كل ذخيرته وحوصر في منطقة البئر ولم يتمكن من الفرار وقابلهم بالسلاح الابيض فقتل منهم وقتلوه ابشع قتلة لقد اصبح جسده كالمنخل يدخل ضوء الشمس من ظهره ليخرج من بطنه وصدره وكل اجزاء جسده كأن الشمس غسلته قبل ان يهبط في اعماق البئر والشهداء يهتفون بمجيئه، والريح تحمله وتنادي باسمه حتى وضعت جثمانه الممزق في رحم البئر، فقد غفت أعين الجبناء وسكن ليل الموت في النقرة العلولية.. بانتظار موت أكبر لقوى الشر على يد ابطال الحشد الشعبي والقوات الامنية..

قصة قصيرة – شاهد عيانها – صباح حسين عباس-

جرائمُ غير مرئية

ها أنا مرةً ثانية أعود للحياة أدور في نزيفي، ومهما طالت فيّ الروح لن انسى وجهك ما حييت؟!.. فلا فضيلة للأثر ولا مجد للموت الذي هو صورتك التي ستبقى آفة لا مرئية في ذاكرتي. للحائرة يا الله اختر مشيئتها في ليلة موتها الأخير بيد شيخ التكفير المحارب الهزيل وهو يمضي بجسدي في رحلة جماعية، اصرخ من هذا الموت البارد؛ والنشوة صوت غيظ فاحش تحارب إبليس دون ارتعاشه لدرجة السخافة، ورائحة نتنة نتاج نوم طويل غير ذي معنى.. وهم يكررون ارتماءهم على أمل نتاج حرام يجهزونه ليوم الذبح. لست وحدي الأرض التي ينخرون بجسدها من أجل روح محرمة، هناك في البعيد كما لم تره العين تنعقد جرائم غير مرئية يندّ لها الجبين، والمجرمون يمارسون طقوسهم الدينية على آثار دم الشرف. وفي غرف الموت الحمر أشاهد شيوخا مبتهجة ونساء يشبهونني، واسمع كلبيتهم تلهث من جوع الشهوة وسادية لم تخطر على بال أحد ولم ارَ مثلها في حياتي.. النساء يتساقطن كالأوراق في أحضان البغاة، فالمكان مغارة عميقة والأرض صخرية صلدة وجموع من الغربان والكلاب والخنازير يتحدثون عن العقل والحكمة والمستقبل والمال وجيل قاتل، جعلوا من المغارة حاضنة لإنتاج الأطفال. فقد رأيت عفن الغايات وقوة مشايخ النواصب الفاجرة، ورائحة أفعالهم القبيحة منشورة في أجندات الأرض على أنهم قتلة غير مرئيين تستخدمهم الأموال الأجنبية لكسر عفة الشرف بين شرفاء الأرض الذين يحملون في صدورهم عقيدة المذهب، وباب الكسر هي النساء الضعيفات. فلا شيء يعذّب الصالحين غير المساس بشرفهِ. فاخترعت(داعش) للإباحية طرقا وقوة على استباحت الأبواب الخضراء واقتحامها، وسفك دم الشرف بتعسّف الاغتصاب. وانت، وأنا، وأنتم مهما كانت قوتكم في وحدتكم تبقى جامدة عيونكم وهي تنظر اختراعات الموت بتوسل دموع الأطفال قبل الكبار. هي حرب الهائمين على وجوههم مع الخوف وبعكس اتجاه النصائح.

كان صباح تلعفر محطمَّ أذرع الأبطال، صباح النار الحارقة لبيوت القرى والنواحي اقتحمت تلك المجموعة المكونة من ستةِ أشخاص يشبهون الوحوش، جلدوا أبي أمام أخوتي وأمي بسوط غليظ ارتفع صوت أبي من الألم كأنه يسمعني ان أختبئ في المكان الذي خصّصته لي عائلتي البسيطة. ومع ارتفاع صوت أبي انسحبت من غرفتي بهدوء ودخلت حجرة صغيرة داخل الغرفة في أعلى السقف ونمت على صراخ أبي وأمي وأخوتي. لم يقاوم أخي الصغير السوط فمن أول ضربة ابيضت

عيناه وهو يشير الى مكان اختبائي. فجاء ذلك القبيح وهو يطلق اسمه علنية: أنا "أبو مروان المرادي" وهذه الحسناء غنيمتي. وسحبني من شعري كمن يسحب خروفا معدّا للذبح. دمي جمد في عروقي، وصوتي اختفى تماماً. لم استطع حتى قول اسمي.. فأطلق عليّ أسم "عفران". والذي لم استطع قوله أنه اغتصبني في السيارة ورفع بكارتي وانا بنت أبي القروي الفقير. فاض دمي على ضحكاتهم، ولعنهم لآدميتي وشيعيتي، ولمعتقدي ويقيني. فمع كل سكين كنت أنادي ولِيي اسد الله الغالب على كل غالب، وقد تعاقبت عليّ السكاكين كأنها تماثيل صنمية رخامية، كأنها وحوش ضارية مقززة جائعة لجسدي الذي لم يمسه حتى الهواء. سكاكين لم تسمع بكائي وهي تهاجم عفتي في مهب الريح وبشهادة السماء وطهارة مياه تلعفر. لقد رأيت كثيرا، وأنا بين الحياة والموت. رأيت نساء أعرفهن، ولا يمكنني التواصل معهن، كانوا يفرغون شهوتهم فيهن مع الضرب بالسوط،.. وأطفالا بلا عمر تشاهد بغاءهم، والكارثة ان الأطفال مجهزون بسلاح خفيف ما أن يؤشر شيخ القتلة على أحدهن فيبدأ الأطفال بالرمي حتى الموت بلا شفقة ولا رحمة بل لا يرمش لهم جفن وهم يسفكون دم الضحية قد تكون أمه الذي أنجبته من مياه محرمة. ولأني من غنائم "المرادي" لم يجرؤ أي كلب منهم نحوي إلا بأخذ موافقته.. وكل من يراني ويعرف اسمي "عفران" يركبه الخوف ويبتعد عني. قد تكون قوة بلا قوة منحني إياه الله ليحمني فأمنت بقدري وبنعمة اعتقادي ويقين نجاتي. فأنا إنسانة لا قدرة لها على الكلام والدفاع عن النفس كنت مثل دمية جميلة أتنقل من مكان إلى اخر، فأينما يذهب المرادي عليّ ان أكون معه.. لم أر يوما دون قتل او ذبح او الضرب حتى الموت والرجم لمن لم تطع أميرهم.

وذات يوم جاء الى المغارة رجال مدججون بالسلاح من بينهم ما يطلق عليه بالخليفة، استعرض جميع الأسرى من النساء وبدأ يختار من بينهن.. وقف أمامي وقال: ما اسمك. لم استطع ان اقول اسمي فاجتمع صوت الدواعش قائلين: " عفران". كم عفران عندكم كل الجميلات من تلعفر اطلق عليهن "عفران" اريد معرفة السبب؟!.. والكل يؤشّر على "المرادي" وهو يرتعش خوفا من خليفته حتى قال:

- هن أغلى رؤوس تلعفر نسباً، وكلهن في خدمتك خليفتنا، فهن شابات صغيرات نبني على أجسادهن رغباتنا ونضع في أرحامهن نطف جيشنا المستقبلي ونجعل منهن ظمأ للمحرومين من المناكحة، حسب فتواكم في إباحة جهاد النكاح لقوات (داعش).

في دواخلي تضرّعت لله ان يقتله، ولكنه كان مراوغاً ثعلبناً، ولكن ما قيمة الزجاج الذي حطّمه هذا الزنديق، ما قيمته اذا قتله وان لم يقتله.. فالدم لا يفارق فريسته. وجسدي المحطم ووجهي الشاحب وعينيَّ وما رأت أو ما رآه الآخرون وما سنراه هو ثوب شرف سقط، وجسد عارٍ ينهض.

صرخ الخليفة كل النساء ملكي الخاص خذوهن الى نفق النكاح وليتم تهيئتهن لمباركتهن قبل ان يحبلن برجال جيشنا المستقبلي. تم سوقنا الى نفق طويل كان يحوي على نساء من مختلف الطوائف والمذاهب، والأكثرية من الطائفتين الايزيدية والشيعية. كل امرأة تدخل النفق تنقب بنقاب النكاح. ما من واحدة في هذا النفق تعرف الأخرى.. والكلام يتوقف عنهن وتبدأ لغة العيون تتحدث، والقلوب تتوسل برب الكون فالمصير القادم هو أعلم به.

وأنا في حالة هستيرية، أقدمت عليّ داعشية ظالمة جردتني من ثيابي، رغم برودة المغارة، بين نفسي قلت: اخيرا سيرى جسدي الماء ويطهر من عفونة الممارسات دون طهارة فنويت غُسل الجنابة وبي فرح بسيط، لكن المفاجأة ان الداعشية بدأت تلامس جسدي بقوة وعصبية مع ضرب مبرح كأنها تفتش عن شيء ضائع او مختفٍ بين أعضائي المنكمشة من البرد؛ وحين شعرت بغاياتها تجمدت أوصالي ونزّ جسدي كله عرقاً بارداً وهي تقلّبني بعنف باحثة غير متوقفة لم اسمع لها صوتا غيره نادت بلغة لا افهمها ولكن كان فيها سلاح.. فهي تفتشني قبل دخول الخليفة عليّ.. وحين انتهت وقبل ان تخرج حدث ما لم يكن في الحسبان فقتلهم من بعيد بدأ على يد القوات العراقية وهم يصرخون "الصالحي" هنا القناص الصالحي هنا فقد جعلهم اسم الصالحي وطلقاته التي لم تتوقف في رعب مميت وبسرعة البرق لبست ملابسي وجلست في مكاني أشاهد هرجهم ومرجهم من اين يخرجون والى اين يذهبون لا اعرف فقد شاهدتهم يلبسون ملابس الحشد الشعبي استعدادا للخروج من المغارة. في داخلي فرح عامر وسعادة نبض لها القلب وكأن انتقامي ازف دون تعب ففحول حشد العشائر والحشد الشعبي لا يتركون شرفهم بيد بغاة (داعش).. كان هناك كلام بالتركماني والعربي افهمه ان "الصالحي" سيقضي عليهم وان المغارة كشفت فالهروب بسرعة نجاة .. ولم اسمع بعدها صوتا فقط أصوات الرصاص وهي تقترب من المغارة، وأنا لم احرّك ساكنا في مكاني حتى وجدت على رأسي من يقول لا تخافي انت الان بأمان. وقد عرفني احد ابناء قريتي وجيراني في حي الزهراء فسترني بملابسه العسكرية وقال:

- لا تخافوا من هذه المسكينة انها أختي في الدين والمذهب والارض ومن قريتي ومصيبتها كبيرة.

وحين سمعت ان مصيبتها أكبر طافت في عقلي صور عائلتي.. فالمصيبة الكبيرة ليست أنا حتما.. فخرج صوتي بعد صمت طويل، وقلت:

- يا بن (نابش)* بحق الله وعشيرتك ما حال عائلتي.

جاءني الصوت مدوّيا كلهم في رحاب رب كريم شهداء ينعمون بنعم الله. فقد ذبحهم (داعش) بمجرد خروجهم من داركم.. صبرك الله ورحمهم الله. ولم يكتفوا بل حرقوا -حي الزهراء- جميعه ولم يعد فيه أحد. كل ما بقي بيوت محترقة وسقوف متداعية وجدران آيلة للسقوط. لقد استشهد رجال أشداء في سبيل أرضهم وعرضهم وأبوا ان يخرجوا من منازلهم فكانت بيوتهم قبورهم.. وقتها اهتزّت بعنف بين رجال الحشد الشعبي تركوني افرغ جزعي بالصوت العالي وكأنني أبكي في عزاء كبير وأغمي عليّ على صوت يروي لما حدث من فواجع ذبح أبي وأمي وأخوتي الصغار. صوت ما ظل يبدد حزني ويحثني على العودة للحياة وأصبر، ويتكرر الصوت في رأسي كأنها بنت أمنا الزهراء، لان لساني لم يقل في كل مصيبة ما اعظم صبرك يا بنت الزهراء يا جبل صبر الهاشميين.. وازدحمت في مخيلتي الرؤى فرحت أكبت كل ما عانيت بصمت وحزن.

وأنا انتظر فريستي، ووجهها القبيح، وحدي ولم يكن معي سوى انفاس عائلتي وتتبعني براكين الغضب أينما أرى ظلما او اسما داعشيا؛ أريد ان أبرهن بأني تلعفرية نقية من -حي الزهراء- اذرف الأوجاع على بوصلة الانتظار ولا اترك خضاب دم شرفي، وسأحمل في الضلوع ذاك اليقين بالله ان آخذ ثأري بيدي وان طال الزمان. فالجريمة غير مرئية لأحد تخصني وأنا شاهدت على جرائم غير مرئية سأرويها لله يوم القيامة، فهو العادل الذي سيصدقني بما راءه هو من ظلم، فتضاعف ايماني في زمن الفواجع والألآم..

....

• "نابش" اسم شيخ عشيرة في تلعفر هو الشيخ(محسن نابش) الذي قدم حياته قربانا لإنقاذ حي الزهراء بتلعفر.

قصة قصيرة – شاهد عيانها – جمعة ناصر سعيد البياتي

الشيخُ نابش

بدأ الجحيم الداعشي يخترق تلعفر ويجوب في أحيائها وقراها وضواحيها. وكابوس الموت راح يتلبّس أهلها بشدة ويفتك بقلوبهم دون أمل حقيقي من النجاة. حركة الناس في اتجاهات عشوائية وهم يواصلون الخروج من بيوتهم بعجلة واضحة؛ فالموت ليس كابوسا كما في أحلامهم المفزعة بل هو ماثل الآن تماما أمام أعينهم.. فلحظة النجاة حاسمة والموت قد أحكم عليهم بكل الاتجاهات. وسيحلّ المساء على حي الزهراء.. متى يعود الرجال؟!. تساؤلات عصبية وأخرى حكيمة عصف بها ديوان الشيخ (محسن نابش). ملأ المكان صدى الانفجارات وهي تقترب بشكل سريع. وشيئا فشيئاً انتشر الظلام، ورائحة البارود تملأ الاجواء وتزكم الانوف. بين فترة واخرى تنخسف الارض من تحتهم وينهال التراب عليهم من شدة عصف القنابل وصواريخ الكاتيوشا، والتيارات الهوائية تدفع الابواب بشدة كأن الموت الزؤام وراءها. والرجال كانوا ينتظرون رجالا لا يهابون الموت. كانت رائحة الدماء المتخثرة لذبائح البشرية التي تم نحرها في مجزرة شوارع الحي تملأ انوفهم يشمونها؛ ولا مناص من ذبحهم اذا لم يخرجوا للمقاومة. ولطالما قنابر الهاونات تقع قريبة من منزل الشيخ هذا ما يؤكد ان (داعش) تستهدف البيت، وتعلم بوجود كبار شيوخ العشائر من السُنّة والشيعة ومسؤولين ومن لهم مراكزهم مهمة في الدولة تحت سقفه. والظلام يسود والقلق يسود في اجسادهم، وعقلهم يفكر في كل شيء في آن واحد رغم تعاظم ازيز الرصاص وصوت الطائرات المسيّرة، واصوات تتعالى عبر مكبرات الصوت ان المهلة قد انتهت فلا خروج من الحي دون الاستسلام او الموت؟!.

"نابش" وسط كل هذا الجحيم يفكّر بعودة الرجال لبدء عملية فكّ حصار الحي، وانقاذ من هم في بيتهم من الرجال المهمين. غمامة حزن داهمته فجأة، وتراءت له كيف نفذ عملية إنقاذ الفرق الشعبية في سنة ٢٠١١م من يد القاعدة، والقاعدة ألغمت ملعب تلعفر وفجرته امام أعين الاهالي بعد ان جاءوا بضحايا مكبلين بالسلاسل وضعوهم وسط الساحة واحرقوهم علنا وحين تجمهرت الناس، ليعرفوا منْ المحترقين ظهر من بينهم ناصبي كقنبلة حية ففجر نفسه وزهق ثمان ارواح وخلف مائة وثلاثين جريحاً. وقتها قد تأخر عن الوصول وحين انتهى الانفجار اقسم ان لا يخرج من حي الزهراء(قاعدي تكفيري) الا وهو ميت او محروق، وكانت حملته ناجحة وان كانت متأخرة فقد قتل مع رجالهِ الأشداء كل من قتل وحرق في الحي ولم يخرج منهم أحد. من بعد هذه الحملة الوطنية التلعفرية بدأت

المقاومة العلنية من مضيف (الشيخ نابش)، واصبح بيته مقرا للمقاومة ضد اغتصاب مجرمي القاعدة الإرهابي لأراضي وأعراض تلعفر، حتى ظهور وحشية الغراب الأسود الداعشي. كان المضيف عبارة عن ثكنة عسكرية مهمتها توحيد صفوف الرجال ومساعدة القوى الامنية، والجيش والحشد الشعبي. كان الشيخ دائما ما يشدّ من عزم المقاتلين ويوصيهم بكل تلعفر وحمايتها وتطهيرها من زمر الإرهاب. فكانوا أينما يكون (داعش) يذهبون لطرده وقتله. فاصبح الشيخ "نابش" حارس المدينة الذي له صوت مسموح ويد تطول يلوح بها للجموع فتذهب للموت بلا تردد او خوف. فكان شيخهم وقائدهم وملاذهم الامن يغذيهم، بالحكمة والموعظة الحسنة. ويغنيهم، بروايات الائمة عليهم السلام، ويروي لهم قصة عاشوراء وصبر الإمام الحسين(عليه السلام) على الموت ليكون آية الارض المخلدة. ويذكّرهم دائما بالقول: اذا ظهرت فوقكم عصابات (داعش) الإرهابية، ستكفركم أو ترجمكم او يأخذونكم الى ملتهم فتكونوا قتلة لإخوانكم ولن تفلحوا ابدا ولا يرضى الله عليكم اذا بقيتم احياء، وموتكم جهنم وبئس المصير؛ هيا أيها التلعفريون نتبادل الواجبات في كل الجهات، ونحلّق بأعلى مستويات مراتب المقاومة ونغرق المغتصبين والخونة بدمائهم..

وهو في هذا الهيام تغيّر لون وجهه، وهيمن عليه القلق والخوف والموت على كل من في بيته، فمسؤوليته كبيرة. فقال:

- ايها السادة في هزيع هذا الليل ستخرجون مع أسلحتكم والجميع يعرف مسالك الطريق الذي لا يخطر على بال (داعش) كونوا حذرين فالرجال لم يعودوا وهذا يعني انهم في ملكوت الله أحياء يرزقون. والظلام في الخارج يلفّ الشوارع المقفرة بردائه القاتم، وضياء القمر الباهت يزيد الإحساس بالوحشة والاسى. فالحياة الهانئة التي رسمناها قد هربت منا مؤقتا على ما يبدو، فلابد ان ترجع يوما على يد شبابنا. لنجعلهم يذكّرونا كالأبطال.

بهذا الخاتمة قرر الاستمرار في المقاومة من أجل ان يشغل (داعش) حتى وصول المشايخ والمسؤولين إلى بر الأمان، فهو مقبل على مهام كبيرة، وعاصفة الموت لم تنته بعد، وعليه إنقاذ ما يمكن إنقاذه من العوائل التي يعرف إنها لا حول لها ولا قوة. فوّزع من كان معه على البيوت لإخراجهم قبل وصول فئران الموت. وهو لا يزال في قرار نفسه ان هناك أملا برجوع رجاله المقاتلين من ثغور الحي فقد أعطى لهم تعليمات ان لم تستطيعوا قتل الدواعش لا تجابهوهم وجها لوجه فعوائل -حي الزهراء- امانة في اعناقنا. عصف في لحظة أمل الرجوع تيارات سريعة جاءت بالحصى والرمال المتطاير بينهما بقايا لحم لجثث واشياء أخرى يهتزّ لها

البدن الما وحزنا وجزعا.. اسرع ومن معه للاحتماء من تكرار العصف المرعب. وهذه العاصفة الهوجاء كانت تلاحق رجاله الذين ظهروا امامه غير مكترثين بالموت وتأثيرات العاصفة الهوجاء..

اول سؤال كان لهم هل رأيتم الشيوخ ومن معهم؟.

- نعم عبروا باتجاه سنجار مع نزوح جماعي لأهالي الحي. وتم تأمين حياتهم من خلال حشد العشائر ومن ثم الحشد الشعبي وصولا للقوات الامنية والجيش.. فهم على ابواب المدينة يقطعون الامتدادات عن (داعش) استعدادا للهجوم موّسع.

شددت نظراته حماسا، وهو يوجّه الرجال للجهاد، مرددا بصوت مسموع للجميع: الضربة التي لا تميت تقوّي!. بهذه الكلمات شدّ ازرهم في اخراج الشيوخ والنساء والاطفال. بدا له ذلك واجبا يطيّب وجعا انسانيا استقر في الضمير والوجدان. لم يبق أحد في -حي الزهراء- سواه ورجاله.. فأمرهم بالخروج عبر منافذ الانقاذ ولكنهم رفضوا الانسحاب إن لم يكن هو معهم. فهم لا يسمحون له ان يكون قربانا سهلا.

لملم اطراف عباءته وتحزّم بها، وراح يصغي لما حدث من فواجع مفزعة منذ حصار الحي، فسرد كل من رجاله حادثة موت بشعة فقال احدهم: لقد تمكنت عصابة(داعش) من امساك (ملة غائب) مؤذن الجامع وذبحوه بتهمة الولاء للسيد علي السيستاني، كان الملة صامدا يذكر الله ويدعو للسيد بالنصر الالهي على اعداء الاسلام فنفذ به الذبح في منتصف الشارع وهو يصرخ " تاج على الرأس سيد علي السيستاني". واسرد أخر بدموع حرّى قتل وذبح ثلاثة شباب مهنتهم التعليم(معلمين) وتم تقصيبهم كما يقصب القصاب الذبيحة. وقال أخر ان اخبار منطقة "بادوش" مرعبة فقد ذبح (داعش) (٤٥٠) من الشيعة المعتقلين في سجن -بادوش-. اما في قرية -ابو ماريا- لقد تم محاصرة بيت رجل الدين الشيخ (مبارك ابراهيم اليوسف) وهو شيخ عشيرة البو عساف وقتله قتلة شنيعة.

كان الشيخ ينصت لهذا الإجرام الداعشي ويردّد: الله أكبر. انهم السابقون ونحن اللاحقون.. والليل القاسي يمضي ودوي يصمّ الاذان وصواريخ تشقّ السكون شظايا ودماء ليل ليس ككل الليالي انه الليل الاخير. تضطرم النيران وتحترق المنازل.. فعلى صوته: لابد من الرد، لابد من الموت بشرف فالشهادة بمثل هكذا ظروف لها وقع خاص.

واختفى الشيخ ورجاله وسط رصاص الموت، وسجلوا على مدار الليل لحظات القتال الفريد من نوعه من خلال الاقتحامات البطولية في انقاذ الاهالي وسحق زمر

الارهاب بلا رحمة ولا شفقة...ولم يظهروا رغم تطهير الحي ورجوع الأهالي واستقرار المنطقة ولكن الشيخ ورجاله الأشداء في عالم الغيب والشهادة اصبحوا ذكرى لأعظم قرابين الوفاء لحي الزهراء في تلعفر..

قصة قصيرة – شاهد عيانها – طارق أحمد حامد

جنونُ إنقاذ بنات تلعفر

أصبح الطريق مخيفاً، مليئاً بالوحوش الأدمية، فقد غيره الزمن الأدردَ من الطريق الإصلاحي الى طريق الموت، فجمع الأضداد وصار مكانا لانتزاع الأرواح البريئة إما بالذبح او رميا بالرصاص. الأشياء كلها تفقد ثباتها في وحشة هذا المكان الذي يعد بالاستراتيجي يوصل الموصل بـ(تلعفر)، وما على جانبيه قرى نواحها لا يتفق، وتلك المقاومة الضعيفة التي تقاوم عنف الموجة الداعشية لا حول لها ولا قوة. نعم كنت أرى عزيمة الشباب وصلابة الشيوخ في صد العنف ولكن سرعان ما تكنسها الريح الصفراء، ووحشية القوة المفرطة بجنون –السلاح، والمال، والخونة- ثلاثي الموت المرعب. ولكن ليس من بد، فقد تدربت على الانتظار واختراق الانفجارات والمفخخات. كنت أنظر كيف يضعون المفخخة وأتجنبها. وسأنتظر كما هو شأني في كل مرة أمام هذا الطريق الملغوم بالدواعش. وتسجل عيني كل مشاهد الإجرام.

من هنا اتيح لي أن أراهم كيف يتجمعون على الفريسة، وضبط وقت انسحابهم ليتسنى لي عبور الطريق والوصول الى دائرة التربية، فأنا موظف، ولي زوجة وأطفال، وبقرية -أبو ماريا- تكمن وظيفتي فحفظت الطريق منذ كانت عصابات -القاعدة- التكفيرية تذبح وتهجر وتقتل على الهوية وتحاكم بالموت حرقاً كل موظف في الدولة.. ما ان يخرج المنتسب من بيته ليخدم وطنه، يتم اللقاء القبض عليه بتهمة المردد فيقتل فوراً.. ما يؤلمني حين امسكوا اثنين من منتسبي الشرطة المحلية(ياسين محمود، وعبد الله طه يا سين) من قرية -أبو ماريا- ونفذوا بهم الحرق علنا مع تصويرهم وهم يتحولون الى رماد.. من هذه الحادثة اعتكفت في بيتي طويلا حتى مسنا الجوع، ولم يعد لنا شيء نأكله فاتصلت بدائرتي وبشرني المدير باحتفاظه برواتبي، ومن هنا بدأت مغامرتي، وكانت مواعيد خروجي ورجوعي بأحكام وحذر مفرط. واستمريت في رصد كل انحرافات(داعش) فلهم في سجن(بادوش) أمراء متنفذون يساعدهم ضباط فاسدون. لم يسلم منهم أحد من تلعفر جميعها. كانوا يرسلون عن طريق الهاتف النقال تهديدات ان لم تنفذ أوامرهم يعتبر خائنا ومرددا ووجوب قتله في أي مكان يتواجد فيه.. وقتها وطنية التلعفريين كانت في أوجها، منهم يذهب الى التطوع بالجيش او الشرطة او الأمن الوطني.. فجاءت أوامر من -بادوش- وكانت حملة –داعشية- لاعتقال كل هوية وطنية، فاعتقلوني مع اربع وستين من القاصرين وكبار السن من قريتي - فقة - وأبو ماريا- ومنطقة –حسنكوي- وأخذونا بجولة

الى دوائرنا وقاموا بتهديمها أمام أعيننا. لم استطع السيطرة على نفسي حين فجروا مدرسة أبو ماريا الابتدائية، كأنني تفجرت معها ،وأتتْ طعنة تفجيرها ذات جرح لا يندمل، كأنها مستني أبوابها قبل انهيار أسيجتها التي شقت دربها نحو قلبي، وتركتني اهذي مع التأويل، ماضيا معهم لآخر الهاوية.

رباه، لقد كان جرحا عميقا لقد بان على وجهي وجعي وحزني فجاءني أصغرهم شأناً وضيع رائحته رائحة - زاني- رمقني بنظرة حاقدة. حاولت ان أتملص من بين عينيه الوقحتين وذراعيه التي أخذت بقوة تصفع وجهي. نظرت اليه ان هذا المسخ قد رايته من قبل، نفسه الذي قتل شيخ (مبارك إبراهيم اليوسف) الرجل التقي الذي يعلّم الصغار والكبار قراءة القران ويفقههم بأصول وفروع الدين ويحببهم بالعقيدة والمذهب في حسينية قرية ابو ماريا. لا يزال ينظر اليّ ويضربني وبدأت لا اشعر بالضربات، ولم أنطق بشيء فقد جاءت الأوامر بالرجوع الى منازلنا، ونحن نغادر المعتقل سرت واجما ومثقلا لا أجرؤ على أي تفكير.. مثلما كنت افكر كيف نفذ في قتل الشيخ سمعت ما هو أعنف فأخذت الحيرة تدق برأسي كطبول الحرب. كيف اوصل المعلومة للقوات العراقية والحشد العشائري والحشد الشعبي فواحدة وتسعون(٩١) بنتا أيزيدية من بنات تلعفر سيسبونهن من أجل جهاد النكاح وبيعهن كجواري في أنحاء متعددة من الموصل.. الخوف على البنات شلت تفكيري، وبدأت أتشنج كأي عراقي من الم الغيرة. وأتخبط بذعر كمن يصارع موجاً عاتياً، فكل من يراني يقرأ على وجهي أثار الخوف والغضب. هم يظنون إنني نجوت لأسباب معينة، وأخرون يتهامسون ببطولات قمت بها لمساعدة العوائل المنكوبة.. أما أنا لم يبق في عقلي سوى إيصال المعلومة التي طبعت في قلبي وعقلي بتفاصيلها وبعض الأسماء التي يمكن البوح بها للجهات التي ستنطلق لتحرير بنات تلعفر من الطائفة الأيزيدية..

وأنا في قمة هذا الهم حضرتني صورة أبي الذي قضى خمسا وعشرين(٢٥) سنة في سجون البعث المنحل لأنه قال شهادة حق بحق امرأة تلعفرية، وانقذ مزارعا من يد عصابات صدام، وكانوا يطلقون عليه قربان تلعفر الناشط السياسي(أحمد الجحيشي) الرجل الشجاع الذي لم يهب سلطان البعث وقائدهم المعتوه.. بهذه الموجة من الرجوع الى والدي شبهت نفسي به فقد كنت على طريق الإصلاح أنقذ ما يمكنني إنقاذه ممن يبقى في قلوبهم نبض، وانقل من تم قتله الى عائلته، ودفن من لا أعرفه واضعا شاهدا على قبرهِ.

هنا أخذني الحماس وشعرت بإنسانيتي ووطنيتي، فارتفع صوتي: أعاهدك يا أبي باسم جراح الوطن ودم شهداء تلعفر، ان أكون عراقيا تلعفريا يسير على منهجك

وإنسانيتك، والموت أهون عليّ ان لم أشارك في إنقاذ بنات تلعفر –شعيات أو أزيديات أو سُنيات-... فأنينهن في رأسي، كأنهن يصرخن أنقذونا قبل ان يمس شرفنا ؟.

كلمة الشرف جعلتني أفتح فمي بقوة واصرخ بعنف من جديد: يجب ان اصل الى حشد العشائر، وما يعيقني حقا سيطرة الشياطين، كان يأخذني الحنق والاهتياج كلما رأيت سيطرة، وأجساما حديدية تبرز خلال حافات الطرق وفي منتصفها. كل هذه الخدع قد مرت أمامي، وخطر لذهني بعد ان اقترب الليل، وأهمية انتقالي الى جهة الحشد يجب أن اخترق كل مفخخات (داعش). ها هي أعصابي أخذت تضغط عليّ فيميل كل جسدي الى الارتجاف والاهتزاز لا من الخوف بل شعور بالمسؤولية. توهمت بأن أحدا يوجهني كيف أعبر الأسلاك الشائكة والمفخخات. ضحكت من وهمي.. وكان رأسي يدور في كل اتجاه، فخرج صوت من داخلي: أخرج من حفرتك أيها –الجحيشي- والا ستلتقطك (داعش).. لحظتها أحسست بشيء يشدني من ذراعي ويسحبني للخروج بلا تردد والمشي بحذر الى الأمام دون الالتفات الى الوراء، فسرتُ مهتاجا على الفور لم يهزني الخوف كأن أحدا يدفعني ويوجهني في ذلك الليل المعتم.. لا أنكر أن قلبي كان يدق بعنف، وجسدي يتلوى مسرعا منتفضاً وهو يقترب من نقطة الحسم.. أيها الجسد لا تخيب ظني وتخذلني، أن عيونهم ترصدني وأسلحتهم الفتاكة قد تتحسس نبض قلبي. خطوة نحو بصيص ضوء على -ساتر الصد- ينير علم – لبيك يا حسين – اطمأنت روحي، ولكن المسافة رغم قصرها ممتلئة، وشغلت رأسي بالإخفاء من سيول القنابر التي بدأت تتساقط من الجهتين كالمطر.. وهدير القذائف ترتج لها تلعفر، ووميض القنابر المشعة تشق عتمة الليل بالتماعات بيض تكشف ما حولها من تسلل، فينكمش جسدي داخل الأرض، ورأسي شرع يدور منافذ أمنة للوصول.. فأهمية عبوري صوب سواتر الحشد يوجب عليّ ان انتقل صوب مكان أشد عتمة يتيح لي الرؤية دون ان يراني أحد، كي تنقضي ساعات هزيع الليل.. فالمهمة أشد إيلاماً من عذاباتي عندما لا يكون أمامك الا ان تصبر وتذعن للألم الذي لا تقوى على التخلص منه، الا بالوصول الى الهدف ووضع معلومات الإنقاذ لمن يحرصون على إنقاذ الأرض والعرض من فئران العالم الأسود.

وأنا معلق ببصري نحو هدفي، لاح البياض الصباح يزحف ببطء من فوقي. أرى جسمي المتخفي وراء تلة أدمنت ثقوب الرصاص.. كل ما اسمه حيوان في الأرض والسماء فرت، ولم يتبق سواي في منطقة الموت التي حجب عنها كل حيوات. كنت كمن يجوس عبر طلاسم تومض وتتوارى. ولا يزال بصري مصوبا نحو الساتر عسى ان تلمحني عدسة المجاهدين فيعرفني أحدهم.. فالخوف ليس من

سواتر الشرف بل الخوف من حفر (داعش) ورصاصه الغادر في الظهر.. كنت منتبها وأنا أتابع -مراشقات - الأسلحة الخفيفة التي تجتاز هامتي على بعد مسافة أصابع اليد او اقل قليلا. أتنفس بارودها. رمقني مصور الحشد ورمقني بعدسته، وسمعت أصواتاً تقترب مني والقتال بدأ يحمى وطيسه الكل يرمي، وحدسي إنني قريب من الإنقاذ.. أراهم انا ويرونني وسط تقافز الرصاص المتنافر.. مثل مرايا متقابلة تكشف كل رصاصة أغوار الأخرى.. أغمضت عيني، ثم امسك بي مجاهد بطل وهو يكتم أنفاسي كأنه ينقذني من عملية خطرة جداً.. سحبني وأخرون عبروا الى المواجهة ونحن عبرنا ساتر الأمان وتنفست الصعداء وانا اشرح لقائد الحشد العشائري خطة (داعش) المقبلة لاغتصاب الايزيديات، وبيعهن كسبايا حرب في منطقة محصورة ما بين قرية أبو ماريا والطريق الإصلاحي العام.. ما أنجزت قولي وانتهيت حيث أغمى عليّ ولم أشعر الا وأنا في خيمة الإسعافات الأولية التي أعدتها القوات الأمنية للنازحين. في الوقت نفسه كنت في قلق على صحة المعلومة وعلى قيام الأبطال بعملية الإنقاذ.

وعلى مقربة مني كان حشدي مصابا يتابعني فاغرا فمه كأنه يريد ان يقول لي شيئاً.. وما أن التفت نحوه حتى قال: لقد أكرمنا الله تعالى وانقذنا وحررنا أخواتنا الأيزيديات الواحدة والتسعين كما قلت.. ولدينا قوائم بأسمائهن موثقة بالتواريخ وسيعطيك القائد نسخة منها لتذكرك ببطولة حسك الوطني وغيرتك على بنات تلعفر أيما كانت جنسياتهن. شدني في كلامه الى عزيمة الوفاء الدائم لوطني ولتلعفر، مد يده نحوي وأنا بين غيبوبة الفقدان وغياب الوعي.. كأنه هزني حيث كنت ساكنا، ربما كان هذا النداء الأخير الذي يجتاح رأسي.. أنه صوت أبي.. قلت مبتسماً: شكرا أيها البطل ..دعني أنم، أنا متعب.. ونمت حيث بهاء الرضا...

قصة قصيرة – شاهد عيانها – عباس إبراهيم جمعة آل عجانة

لو لا الحشدُ

لولا الله الذي منحني نعمة النسيان، لكنت من المجانين ؟. وما سأسرده لكم ليس من السهل ان يعيشه إنسان سوي وليس هو قصة طريفة مسلية مبالغ خيالها. بل هو مشهد دموي من مشاهد الإرهاب الداعشي، وحقيقية عشتها أنا بنفسي. واذا شئتم ان تتأكدوا أسالوا النساء الحوامل اللواتي هجرهن (داعش) من تلعفر في أوائل شهر الثامن من سنة ٢٠١٤م الى جبل سنجار كيف ولدن أولادهن، بين عشرات المفخخات والجرائم المروعة ؟. ستجدون ما أتحدث به هو الواقع بعينه، وقد شاهده العالم أجمعه مرأى العين، بكل وسائل الإعلام الحديثة.

تلعفر مدينتي التي رأيتها قد تموت، لكنها لن تموت في قلبي وذاكرتي. ليس المهم ان أكون أنا على قيد الحياة بقدر بقائها هي رمزا قد يطلق عليها يوما مدينة الشهداء. المهم ان تلعفر استقرت بفضل رجال لا يهابون الموت، وأقول الحق – لولا الحشد الشعبي- أحلم أن ارجع اليها ثانية. فقد رجعت الأعراف والتقاليد اليها بعد أن مزقتها -القاعدة الإرهابية- منذ ٢٠٠٤م وأدخلوا عليها كوابيس الموت المجاني بشتى أنواع المتفجرات، كأنهم يتسابقون لقتلنا عند كل مناسبة تكبر بها منائر تلعفر بمواليد وأحزان أهل البيت عليهم السلام. فتقاليد المدينة يعترف بها الجميع على مختلف مشارب دياناتهم ومذاهبهم الكل يشترك حسب قدرته وفي عاشوراء كل شيء متاح للحزن وإقامة المجالس ويلقي الخطباء خطبهم العصماء في كل مسجد وحسينية وبيت وركن وزاوية من قرى ونواحي ومزارع وأحياء تلعفر.. وهكذا نكون بكل طيب خاطر قرابين موت لعزاء سيد الشهداء في كل عام. زادت القرابين بزيادة الفوضى وانفتاح الحدود، وانهيار القوى الأمنية، وفقدان الجيش أهليته في المنطقة برمتها. والدواعش ظهروا امتدادا للقاعدة، فكلاهما يشتركان في الإرهاب التكفيري.. وعائلتي ومجموعة كبيرة من العوائل خرجنا من ديارنا خوفاً من سقوط الصواريخ علينا، وكتبوا عنا في صحف العالم الأهالي نزحوا باتجاه الشمال، فالقصف لا يتوقف على رؤوسنا نرى كيف تسقط القذيفة على المنازل فتذوب كما يذوب الحديد في النار؟.. كان طريق النزوح في العراء وتحت جنح الليل، نختبئ مثل الطيور المهاجرة من سطوة الصيادين الميتة قلوبهم. ونفترش الأرض في النهار ننتظر الموت من اربع جهات.. عشرة أيام من الجوع والعطش. لم يرحمنا أحد، ولم تدخلنا الى إقليمها قوات كردستان !. كأنها تخطيطات لقتلنا، لإخراجنا من الحياة بصورة قبلية قديمة تجمع ما بين التوحش

والأنانية وحب التفرد.. هناك قرب جبال الشمال، ومن نافذة الموت المنتظر، رأيت وطني ينهار ويتقسم، وقد أغلق المرابون كل طرق السلام بوجهنا. وحش تربع على الأرض، ونام على تربتها بفراش من الدم والعُملاتِ، ونحن مُسَمْولُونَ بأيدي الإرهاب، ننام عراة على أرضنا.

من الخوف والرعب رجعنا الى جبل سنجار وبدأ الموت يحصد أرواحنا، والحومل من النساء يسمع أنينهن الوديان والطيور الجوارح وتبكي لبكائهن كل حيوات الأرض الا غزاة التكفير؟!. ولو سألني الله يوم القيامة عما حدث في ليالي جبل سنجار لأجبته، فقد حفظتها بجزع وألم يصل حد فقدان العقل ومن فجر الى فجر أخر فقدنا أرواحا كثيرة، باستمرار أمراء (داعش) بصفّنا صفوفا، والبدء بسبي زينة شابات تلعفر وقتل الشباب، وأخذ الأطفال الرضع الذين ولدوا في هذه الهضاب الوعرة وقتل الأمهات. والشيوخ تحبس أنفاسها، حتى أحمرت عيونهم وبح صوتهم، وانهار جسدهم الضئيل.. ومن الفجر الى الفجر ظلوا يعالجون المصابين ومن بهم بقايا روح وهم يلوكون ترابا أحمر.. كنت أنا أخر من يتنفس من بهم قوة الشباب، ولم يبق من عائلتي سوى أمي ومعها أمهات ثكلى.. نجرجر جرحنا هربا من عودة أمراء الكفر والمال.. فقد حذرونا ان بقينا سنكون في محرقتهم لا محال. وهربنا ولم يكن في مقتل أحبابنا وبقر بطون الحوامل، مثيرا للاستغراب بل كنا نتوقع ان نموت مئات الميتات والغريب في الأمر أنهم ابتكروا طرقاً عجيبة وغريبة لمقتلنا.. كيف يتجرأ ذو الشيبة الوسخة والرائحة العفنة ان يولّد امرأة حامل بشهرها الثامن بتلك القسوة، بعد ان جردها من ثيابها أمام الجميع بلا حياء وفتح ساقيها ووسع خروج الطفل بسكين نصله، فار على اثرها الدم وامتلأت الأرض به كأنه يذبح كبشا.. وأخرج الطفل ولفه بثياب أمه التي فارقت الحياة من فورها. وتكررت مع نساء حوامل أخريات.

في اللحظة التي عشتها ليس مشهدا خياليا مبتكرا أسرده، بل اعتراف بضعفي. ولكن في عقلي يأتي كتاب الله يذكرني ان لا اقنط من رحمته. فالحقيقة موجعة دائماً.. واذا شئتم ان تتأكدوا من صحة حديثي، اذهبوا الى هناك حيث حدث الجرم وأسالوا الأرض؟!. فالجواب الدماء التي لاتزال تصبغ الأرض كالحناء.

لم تنته مصيبتنا الى هذا الحد بل نسير باتجاه الجنوب والارتباك والخوف يلعب بنا ويدمر أعصابنا وما يهون علينا ذكرى الجرائم فالعجائز لم يتوقفن عن الرثاء بالصوت والضرب على الرؤوس والوجوه والصدور، نحن والموت مواجهة نسير على خط واحد، فالمواقف غير الإنسانية أشبعت بطوننا دما، ولولا الاستغاثة من شاهد قافلة النزوح تتقيأ الموت في مسيرها، فموقف الكرد غير الإنساني ونحن

نذبح بين الوديان وعلى الأراضي الشمال جعل من المرجعية الدينية العليا تتفاوض وتتدخل في خلاصنا وعبرنا عبر سنجار الى ربيعة، والخطر كان أقل بعد ان اجتزنا سد الموصل، الى -برطلة - شعرنا بالأمان ثم ممرنا بأربيل مرور السبايا الى منطقة - اليمانية- ودوكان ثم –قزانيا- فيها، شفت جروح الجسد لكل جرح القلب عميقة، استلمتنا الحكومة العراقية في بغداد وانتقلنا الى بابل، واستقرينا في مدينة كربلاء المقدسة، فيها شعرنا بإنسانيتنا، واننا ما زلنا على قيد الحياة.

وفي كربلاء كنت ابدو كالريشة التي تعبث بها الريح، رغم أهل المدينة كانوا كالحشد الذي انقذنا يطّوحون بي يمينا ويسارا بالخيرات، فالكرم الكربلائي مشهود له منذ الطف الأول. لا أعلم لماذا استولى عليّ شعور بضرورة الالتحاق بقوات الحشد، وعليهم ان يقبلوني على كبر سني. تملكتني قوة داخلية وعزيمة لم أصادفها في حياتي حتى أقنعت القائمين على الحشد بانني خبير في طرق تلعفر. إنني مندهش حين اخترقت وتجاوزت كل الخوف وبدا (داعش) أمامي صورا باهتة شبحية يسهل عليّ تمزيقها.. وشاء القدر أن تتحرر تلعفر ويعود لها الأمان.. ورجعت وعائلتي الى بيتي وجرح من فقدناهم لا يزال ينزف.. ولو لا الحشد الشعبي ما كان لنا تلعفر من جديد.